أسامة غريب

أجهزة النيفة المركزية

فريق متميزون

E-BOOK

الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة إلى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب إلى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

أجهزة النيفة المركزية

الكاتب: أسامة غريب

اهداء..

الى صديقي الأديب الفنان
بلال فضل
تقديراً لموهبته ومطابقته لذاته

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من حدائـق الدنيا

لم أعد أرجو منك أن تكون إنساناً، فهذا حلم بعيد.. صار يكفيني أن تكون حيواناً أليفاً!
الإنسان السعيد يخسر كثيراً إذا مات فجأة.. كن بائساً إلى أقصى حد لكي تحجّم خسائرك إذا ما داهمك الموت!
عبد العاطي: فيروس زيكا من الفيروسات أحادية الخلية، لذا يمكن السيطرة عليه بكيلو سجق بلدي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فاتــونا الحبايـب

كنت أجلس على مقهى نثر مقاعده على الرصيف بميدان المحطة الرئيسية في مدينة أمستردام، وكان الجو منعشاً به لسعة برودة لطيفة. الجلوس خارج المقهى أفضل لأنه يتيح كشف الميدان والفرجة على البشر. مع كوب القهوة اللذيذ كنت سارحاً في تأملاتي عندما وقف أمامي شاب بدا أنه يعرفني.
رفعت وجهي نحوه فرأيته يبتسم وهو يمد يده بالسلام قائلاً: هولندا كلها نورت واللـه يا أستاذ. سلمت عليه مرحباً وتوقعت أنه أحد القراء من المصريين المقيمين بأمستردام أو من الزوار مثلي. قال: لماذا لا نري لك شيئاً جديداً منذ فترة؟
تنحنحتُ وأنا أفكر في رد لكنه بادرني قائلاً: هل تسمح أن أجلس معك قليلاً وأن أدعوك على هذه القهوة؟ قلت: بل أنا الذي أدعوك. جلس أمامي وعلى وجهه نفس الابتسامة اللطيفة ثم قال: حضرتك مؤلف أغاني.. أليس كذلك؟.
شعرت أن دش ماء بارد قد سقط على رأسي.. لقد رحبت به ظاناً أنه أحد قرائي وكنت على استعداد أن أجري معه حديثاً جاداً فإذا به يفاجئني بما قال. تجاوزت دهشتي وقلت مبتسماً: نعم أنا مؤلف أغاني.
قال في زهو: صحيح أنا أعيش هنا منذ خمس سنوات لكن صلتي بمصر لم تنقطع وأتابع كل ما يحدث فيها والدليل أنني عرفتك على الفور. هززت رأسي مع اليدين والكتفين بدلاً من الكلام. توقف الشاب عن الابتسام ثم قطب جبينه وقال في جدية: لكن أنا عاتب عليك لأنك توقفت عن التعامل مع عمرو دياب!.
وجدت أن رفع الحواجب مع هز الأكتاف والميل للأمام ثم العودة للخلف تنفع في مثل هذه الحوارات خاصة مع شخص مندفع لا يتأنى ولا يصبر حتى يسمع ما ستقول.
استطرد: لا صحيح.. لماذا لم تعد تقدم حاجاتك الحلوة مع عمرو مثل زمان؟ قبل أن أرد كان قد أضاف: أعتقد أن آخر غنوة كتبتها له كانت «فاتونا الحبايب». اتسعت ابتسامتي وكادت تتحول لضحكة مجلجلة لولا أن كبحتها حتى لا أحرج الفتي الذي يظنني كاتب أغنية فاتونا الحبايب.. هل هناك فعلاً أغنية بهذا الاسم؟.. ظل الأخ يدور حول نفس الموضوع وأنا أتأمله في عجب.. من الواضح أنه لا يذكر اسمي، أقصد اسم مؤلف الأغاني الذي يظنني هو، ولعله يأمل في أن يعرف اسمي دون سؤال. لذت بالصمت فتطوع بتعريف نفسه قائلاً: أنا نشأت الألفي، خريج معهد هندسة العاشر وأعمل هنا في محل ملابس. سألته في فضول: هل أعجبتك فاتونا الحبايب؟ قال: جميلة جداً لكن قفلتها غريبة!
لم أعلق فكرر سؤاله عن التعاون مع عمرو دياب من جديد. قلت له: بصراحة عمرو زعلان مني لأني قدمت أغنيات لمصطفي قمر ومحمد محيي. قال: هذا حقك والتنويع مطلوب ثم زاد: ألا يقدم هو أغان لمؤلفين آخرين؟ عدت مرة أخري لهز الأكتاف والتعبير بالوجه دون الكلام. قال: أكيد هناك أسباب أخري للخلاف بينك وبين عمرو. قلت: لا تحرجني يا رجل. ضحك ضحكة المنتصر وقال: كنت عارف أن هناك سبب آخر ولن أسألك عنه.. قالها وهو يغمز بعينه في مكر!. عدت للصمت فبادرني: لكني لم أسمع عن أغنيات قدمها محيي من تأليفك. قلت: كيف هذا.. الألبوم الأخير كله من

تأليفي. قال: غريبة.. وما اسم هذا الألبوم الأخير؟ أجبت: على اسم الأغنية الرئيسية في الألبوم..
رجعوا لنا الحبايب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أشجانك لك وحدك

عندما أسافر إلى بلد لي به ذكريات قديمة فإني أبدأ بالذهاب إلى الأماكن التي شهدت الأحداث التي شكلت هذه الذكريات. وهناك من البلاد ما زرته عشرات المرات مثل فرنسا مثلاً، ومع ذلك فذكريات المرة الأولي عندما كنت طالباً هي التي حفرت أخدوداً في داخلي وصارت عصيّة على النسيان. في إحدي هذه الزيارات وكان بصحبتي صديق وقفت أمام إحدي البنايات في شارع سان ميشيل وطال وقوفي.. لقد تداعت إلى نفسي ذكريات أيام عشتها مع رهط من رفاق السفر في هذا البيت وكانت ظروفنا في ذلك الوقت صعبة للغاية.. لا شغل ولا فلوس ولا تأشيرة صالحة، لذلك فقد كان الصراع بين هؤلاء ضارياً على لا شيء!.. تداعي إلى ذاكرتي ما فعلوه بي وفعلته بهم وأحسست برعدة والأحداث تعود بأبطالها شاخصين أمامي كأن هذا حدث أمس وليس في أواخر السبعينات. قبل أن أغرق في باقي القصة انتبهت إلى صديقي يصيح بي غاضباً من هذه الوقفة الذي لن تنتهي وهذه التأملات التي ستلتهم الرحلة. حكيت له ما يدور ببالى آملاً أن يتفاعل معي ويشاركني الخيال ويقدّر ما أنا عليه من إثارة وشجن، لكنه تظاهر بالإهتمام ثم سحبني إلى موضوع آخر ولم ألق منه ما تمنيته من تفاعل ومشاركة. مرة أخري يتكرر الأمر مع صديق آخر في فيينا.. لم يتركني أتمعن في ناصية الشارع التي كنت أقف فيها في عز البرد أبيع الجرائد زمان. لم أغضب منهما بطبيعة الحال لأنه بصراحة لم يُخلق بعد من يمكن أن تجرّه معك ثم تقف أمام حوش بيت صامتاً لمدة ساعة إلا إذا صحبت معك خادمك أو مرؤوساً سوف يتغاضي عن جنونك مقابل منافع آجلة! تعلمت بعد ذلك أن أخرج وحدي في الطلعات التي يكون الغرض منها التأكد من أن هذه الوقائع التي تملأ خيالى قد حدثت فعلاً ولم يصورها لي الوهم.

الغريب أن هذه التأملات والذكريات التي ضايقت أصحابي ولم يستطيعوا التظاهر بالإهتمام بها قد لقيت الكثير من التعاطف من القراء حين كتبتها لهم، بل إنها كانت سبباً في مبيعات كبيرة لبعض الكتب التي تضمنت حواديت من هذا النوع، وهذا في تقديري يعد سبباً إضافياً لأهمية الكتابة بالنسبة للكاتب. هناك من الكتّاب من يظن أنه يكتب حتى لا يجن، وهناك من يكتب حتى يتفادى الانتحار أو السقوط في وهدة المرض النفسي، كما أن منهم من يكتب حتى يشعر بالسلام والرضا أو يكتب ليوصّل رسالة.. أما أنا فقد وجدت سبباً إضافياً هو أن أكتب ما يُضجر أصدقائي إذا ما تطوعت ورويته لهم وطلبت منهم أن يعيشوه معي. الكتابة تسمح بأن تروي الحكايات القديمة التي يتبرم منها الأصدقاء لأنها لا تخصهم وليس هذا أوانها، وقد يفاجئك أن هذه الحكايات تمتع القراء لدرجة أنهم يستحثونك على الإكثار منها!.. ليس معني هذا أن قرائي الذين لا أعرفهم أفضل من أصدقائي الذين أعرفهم وأحبهم، لكنه يعني أن الكتابة تحل لك هذه الإشكالية وتجعلك ترفق بالأصدقاء الذين يحتملون الشطحات في حدود وليس إلى آخر مدي، كما يعني أن أشجانك هي لك وحدك ولن يشاركك إياها أحد إلا إذا كان لا يعرفك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

لا مؤاخذة يا فرنسا

وقفت بجوار كنيسة نوتردام بباريس أبحث عن مدخل لمحطة المترو النفقي من أجل العودة للفندق، كان الوقت ليلاً وكلما توجهت إلى أحد مداخل المحطة وجدته مغلقاً. بعد قليل لمحت أحد السائرين فتوجهت نحوه وسألته بالفرنسية عن مكان دخول المحطة. نظر نحوي ثم رد بالعربية قائلاً: تعالى معي.. كان من أبناء المغرب، سرت معه وبعد قليل وصلنا للمدخل ونزلنا السلالم فوجدت بوابات الدخول بينما لم أجد شباكاً للتذاكر ولا وجدت ماكينة للشراء الأوتوماتيكي. وقفت في حيرة فقال لي الشاب المغربي: لا تضايق نفسك سنجد حلاً. قال هذا ثم جعلني أتقدم أمامه وأخرج تذكرته ومررها أمام الماكينة فانفتح الطريق ودخلت ثم وجدته يدخل ورائي بنفس التذكرة!.. لقد أكرمني الرجل سُحتاً أي جعلني أضحك على فرنسا وأدخل المحطة بدون تذكرة.. ولقد لاحظت في فرنسا بالذات أن كمية المزوغاتية الذين يركبون بالمجان مهولة وتعادل نصف عدد الركاب تقريباً وهو الأمر الذي لا يمكن أن تجده في لندن أو نيويورك مثلاً. وربما يكون هذا عائد إلى كثرة العاطلين المقيمين بباريس وأغلبهم من عرب شمال أفريقيا ومن الأفارقة الفرانكفونيين.

عادت بي الذاكرة إلى سنوات بعيدة عندما زرت باريس أثناء سنوات الدراسة الجامعية. وقتها كان من أدبيات المرحلة أن الشخص الذي يقطع تذكرة هو المغفل المدلل الذي أخذ قرشين من ماما وجاء ليصرفهم، أما الذي يقفز من فوق الماكينة فهو ابن البلد الجدع الذي جاء إلى باريس مفلساً وينوي العودة متوجاً بأكاليل الغار ومعه الفلوس، وقد تكون بصحبته فتاة فرنسية!.

ركبت المترو واشتعل عقلي بالتفكير.. ما هذا الذي فعلته وكيف طاوعت الشاب المغربي على الركوب المجاني؟ ليست المسألة صحوة ضمير بقدر ما هو التحسب مما سيحدث عند الخروج. لقد كان الدخول سهلاً ووجدت نفسي بالداخل قبل أن يتاح لي الوقت لأفكر أو أرفض، أما الآن فإن الفضيحة ستكون بجلاجل عند الخروج. وقف المترو عند محطة «جار دو نور» فنزلت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر الأخرى.. المحطة كبيرة جداً وماكينات الخروج منتشرة، والجمهور يتدفق على الماكينات، يدفع الواحد بتذكرته فتنفتح البوابة الصغيرة سامحة له بالخروج. لاحظت أن وراء كل راكب يخرج بشكل شرعي واحد آخر غير شرعي يندفع خلفه ويخرج قبل إنغلاق الباب. قلت لنفسي: هل يليق بك بعد هذا العمر أن تخرج هكذا مثل المشردين واللصوص؟ لقد ولّى الزمن الذي كنت فيه لا آبه لمثل هذه الأمور وأعدها ضمن الشقاوة البريئة، أما الآن فلا أستطيع مجرد تخيل أن يمسكني شرطي أو حتى يلمحني مواطن وينظر لي باحتقار.. يا له من موقف!. أخذت قراراً بأن أخبر أحد الموظفين أنني فقدت التذكرة ثم أدفع الغرامة المطلوبة وأنصرف. ظللت أبحث حولي حتى عثرت على أحد العاملين. أخبرته بالموقف فسألني: وماذا تريد منّي؟ قلت: أريد أن أخرج. أشار إلى الماكينات قائلاً: اخرج مثل هؤلاء!.. أدهشتني إجابته فأوضحت: أريد أن أدفع الغرامة وأخرج. قال: هذا ليس من شأني، ثم تركني وانصرف.

اعترتني حيرة من هذا الرجل العجيب.. يبدو أنه غاضب من فرنسا ومستمتع بإشاعة الفوضى فيها!.. نظرت ورائي فوجدت موجة من الركاب الذين خرجوا تواً من أحد القطارات تندفع نحو البوابات، فما أشعر إلا وأنا معهم خارج المحطة ولسان حالي يقول: لا مؤاخذة يا فرنسا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

وا وكستاه!

في بلد عربي ركبت سيارة أجرة وجلست بجوار السائق فبادرني بالحديث، ثم استمر الحوار بيننا متصلاً حتى أوصلني إلى وجهتي، عندها سألني من أين بلد أنت؟ أبديت دهشتي من إخفاقه في التعرف على جنسيتي بعدما تحادثنا لمدة ربع ساعة. قال لا يبدو من كلامك أنك شامي أو مصري أو خليجي أو مغربي وهذا ما يحيرني. عندما أخبرته أنني مصري أبدي استغرابه قائلاً: المصريون لا يتحدثون هكذا!

بعد أن تركت السائق سرحت في هذا الأمر وشعرت بالحيرة.. اللهجة المصرية يسهل التعرف عليها من أول جملة، ولقد كان الرجل يفهمني تماماً ولم ينشأ بيننا أي حاجز لغوي، فكيف يفهمني ويحاورني ويمازحني ثم بعد ذلك يحتار في شأن موطني؟ ثم ما معني أن المصريين الذين يملؤون بلده لا يتحدثون هكذا؟. في المساء جلست أطالع التليفزيون وفتحت قناة مصرية، مضيت أتفرج عليها وبعدها كدت أصيح مثل أرشميدس: وجدتها. أظنني عندئذ خمنت سبب حيرة الرجل. لقد احتار السائق العربي لكنه لم يدرك أن سبب حيرته هو مستويات اللغة. إننا إذا استبعدنا الفصحى التراثية الموجودة في القرآن وفي أشعار الأقدمين وفي المسلسلات التاريخية، وكذلك إذا استبعدنا فصحي العصر التي تستخدمها الصحف ويسمعها الناس في نشرات الأخبار والبرامج الثقافية، تتبقي بعد ذلك مستويات ثلاثة للعامية خاصة بكل بلد، وإذا تحدثنا عن المصريين فقليل منهم يتحدث بعامية المثقفين بعدما تدهورت الثقافة وفرضت السوقية نفسها، وبعض المصريين يتحدث بعامية المتنورين، ثم السواد الأعظم الذين يتحدثون بعامية الدهماء. كان المفروض أن تسود برامج التليفزيون المصرية في كل القنوات عامية المثقفين التي تحوي الكثير من التعبيرات الفصحى والتشبيهات الأدبية والإيجاز والولوج للمعني مباشرة، لولا أنه في هذا الزمن الأغبر طغي على الساحة الإعلامية الذئب والنسناس والنطيحة والمشرومة ومن لدغها الحنش! لم يعد المذيعون يعبّرون فيما ينطقون عن فكر أو ثقافة أو عقل ناقد أو دماغ قرأ صاحبها وفهم وهضم قبل أن يخرج على الشاشة، وإنما أصبحت التليفزيونات مصاطب للأرزقية المرضي عنهم أمنياً بصرف النظر عن حالتهم.. بل إن الوكسة والتدهور الذهني قد تكونان من مسوغات التعيين في الوظيفة والبقاء فيها، وهي وظيفة على أي حال لا تقتضي سوي الصراخ والتشنج والتفوه بكل سخيف وركيك وتافه وعدائي ودال على سوء الخلق وضعف الثقافة. وهم فيما يقدمون ويعرضون بضاعتهم الرديئة يستخدمون مستويين من اللغة، فبعضهم ممن يُعتبرون (فطاحل) أو عور وسط العميان يتنقل بين عامية المتنورين وعامية الدهماء والبعض الآخر يعجز عن الخروج من لغة السوقة نتيجة الفقر الشديد في التعليم وتضاؤل القدرات الذهنية. وبطبيعة الحال فإن الجمهور أو معظمه، وحظه من التعليم لا يختلف عن حظ مذيعيه يتحدث أفراده بنفس الطريقة ويلوكون نفس المفردات ويدورون حول نفس الأفكار.. لهذا فقد شاعت عامية الدهماء بين الناس حتى لو كانوا متخرجين من الجامعة، وأصبح من يتحدثون بعامية المتنورين المعبّرة عن الشهادة الإعدادية.. قلة!.. وربما أن هذا يفسر دهشة سائق التاكسي العربي الذي فهمني ومع ذلك لم يخطر بباله أن أكون مصرياً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

شيطان الأوتوبيس

لم يكن من المعتاد أن تكون محطة الحافلات مكتظة هكذا أبداً.. نظر إلى الواقفين إلى جواره على رصيف محطة ريتشموند بجنوب لندن في هذا الصباح الخريفي البارد. بعد قليل وصل الباص الذي يحمله إلى قلب لندن للذهاب إلى مقر البي بي سي بشارع ريجنت حيث يحل ضيفاً على أحد البرامج السياسية بالقسم العربي من التليفزيون الشهير. لقد طلبوا منه العنوان ليرسلوا له سيارة خاصة تحضره للاستوديو لكنه لم يوافق وفضّل ركوب الباص الذي يحبه ويتفرج من طابقه الأعلى على المدينة وكأنها رحلة سياحية وليست نقلة أوتوبيس!.

حضر الباص الموعود، لكنه كان على غير العادة مليئاً بالركاب ولا يبدو أن به مقاعد خالية.. صحيح هو يحب المواصلات العامة في لندن، لكنه يفضّل أن يجلس ولا يهوي الوقوف. أخذ يتفرج على الركاب تنزل وتصعد وبقي هو في مكانه ينتظر الحافلة التالية.

من الجميل هنا أن الباصات تحضر في الموعد طبقاً للجدول المعلق على المحطة دون تأخير.

بعد عشر دقائق أقبلت الحافلة في الميعاد لكن للأسف ممتلئة مثل سابقتها. فكّر في أن يأخذ تاكسي حتى لا يتأخر على موعد التسجيل، لكنه قدّر أن العداد لن يعمل أقل من خمسين جنيه في هذا المشوار الطويل فتراجع.. الأمر لا يستحق غرامة خصوصاً وأن الاستضافة في البرنامج مجانية. بعد قليل وصل أوتوبيس آخر فانتظر نزول النازلين ثم اندفع بسرعة وصعد ملقياً بنفسه على مقعد خال. في المحطة التالية أبصر جمعاً من الشباب يرتدون تيشيرتات موحدة ويسيرون بالشارع في صفوف كأنهم في مارش عسكري. فهم من حديث الركاب أنّ مباراة هامة في الرجبي تقام اليوم وأن المجتمع الإنجليزي يرقب هذه المبارة بفارغ الصبر.. وقد كان الملعب الذي تقام عليه المباراة في منطقة «تويكنهام» القريبة وهو الأمر الذي أدي إلى ازدحام الخط وكثرة طالبي الباص في هذا اليوم.

بعد عدة محطات بدأ الزحام يخف، وأبصر رجلاً كبيراً في السن يتلفت حوله يبحث عن مقعد. لم تكن هناك مقاعد خالية رغم انتفاء الزحام، وكان الجزء المخصص لكبار السن مشغولاً أيضاً. بتصرف طبيعي تلقائي وجد نفسه يهم بالوقوف ليخلي مكانه للرجل العجوز، غير أنه في اللحظة الأخيرة توقف ومنع نفسه وقرر أن يسمح للهاتف الذي علا صوته داخله أن يتحدث. قال له الهاتف: لماذا تريد أن تقوم وتخلي مقعدك للرجل؟ هل هي حركة شهامة تريد بها أن تكسب ثواباً في الآخرة أم تبغي إقناع نفسك أنك لا تزال شاباً يافعاً ممن يقومون بسرعة بإخلاء أماكنهم لكبار السن؟.

ما هذا الذي يسمعه؟.. لقد كان القيام وإفساح الطريق للعجائز وكبار السن جزءاً من سلوكه عندما كان يركب المواصلات بمصر فما الجديد الآن؟ أدهشه هذا الهاتف العجيب الذي لم يسمعه من قبل ثم أصاخ السمع، ذلك أن رسالة الهاتف لم تتوقف: كم تظن عمر هذا الرجل الذي تريد أن تضحي بمقعدك من أجله؟.. لا يخدعنك شعره الأبيض.. هو صحيح ليس صغيراً لكنه ليس في أرذل العمر أيضاً ويمكنه أن يتحمل الوقوف قليلاً، وحتى إذا كان بحاجة للمقعد، فأنت أيضاً بحاجة له.. هل نسيت أنك لم تعد صغيراً، أم تراك تعاند الزمن وتريد أن تنفي عن نفسك أنك بعد قليل ستصير ممن يقوم الشباب في المواصلات العامة ليجلسوهم مكانهم؟

أزعجه الهاتف الأناني وعكّر سلامه النفسي فوجد نفسه يخاطبه: يا حضرة الهاتف.. ربما لم أعد صغيراً كما تقول، لكن الاستجابة التلقائية التي صدرت عني والتي قمت سيادتك بفرملتها لا تصدر إلا عن شخص يري نفسه شاباً ولا يشعر بالجزع لترك كرسيه لآخرين أكثر استحقاقاً منه. رد الهاتف: على الأقل لا تتعجل يا حضرة المتطوع الهمام ولتنتظر فربما قام للرجل أحد الشباب الصغار الذين يملؤون المقاعد، ولا تنس أن مشوارك ما زال طويلاً فهل تصمد ركبتاك لبقية المشوار أم تظل تعاني من أجل رجل لا تعرفه؟.

رد على الهاتف قائلاً: لماذا تريد أن تقنعني أن بي خطباً وأنني لن أصمد واقفاً لبقية المشوار.. إنني والحمد لله لا أشكو من علة، وأري أن تطوعي للقيام من أجل رجل كبير هو زكاة أقدمها عن صحتي. رد الهاتف ساخراً: ألم تجد سوي لندن لتقدم بها زكاتك؟ ولماذا لا تفعل ذلك في القاهرة حيث صحة العجائز متهالكة ورُكبهم مخلوعة؟ قال للهاتف: أنت تعلم يا مغفل أنني هناك أركب سيارتي الخاصة بعد أن أقلعت عن ركوب المواصلات العامة منذ دهور.

ألقي الهاتف الملعون بكارته الأخير فقال: ومع هذا لا ينبغي أن تقدم صدقاتك وزكواتك في بلاد الفرنجة حيث الناس ليسوا من جنسك ولا من دينك! عند هذا الحد أصيب صاحبنا بالذعر وفهم أن هذا الهاتف ما هو إلا شيطان طائفي فاستعاذ بالله وقام من فوره عن كرسيه وابتعد ليفسح للرجل العجوز مكانه.. لكن للأسف كان الرجل قد نزل من الباص وطارت فرصة القيام بعمل طيب.. لعنة الله عليك أيها الهاتف الوغد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الـحرمان

سافرت بالطائرة مئات المرات ورأيت عجائب من شركات الطيران، غير أن هناك تجربة مررت بها ما زالت ترد على بالى مصحوبة بالدهشة كلما تذكرتها. أخذت الطائرة من مدينة فانكوفر بمقاطعة كولومبيا البريطانية في أقصي الغرب الكندي إلى مدينة مونتريال بمقاطعة كويبك في الشرق.. الرحلة طويلة رغم أنها داخلية وزمنها يربو على ست ساعات، ولقد تلطفت شركة إير كندا فمنحتني تذكرة مجانية على درجة رجال الأعمال باعتباري وقتها مديراً لشركة طيران. جلسنا استعداداً للإقلاع وقام بعض أفراد الطاقم بعدّ الركاب في مقاعدهم وقد وضح أن الرحلة ممتلئة. بعد قليل أقلعت الطائرة فأخرجت كتاباً رأيت أن أستعين به لقطع الوقت، ثم بدأت روائح الطعام تهل أثناء تسخين الوجبات تمهيداً لتقديم الغداء للركاب. وللحق.. كانت الرائحة طيبة وتشي بوجبة دسمة مما حفز الغدد اللعابية على العمل وأيقظ المعدة الخالية لتبدأ في إفراز العصارة للطعام القادم. كانت وجبات درجة البيزنس أكثر تميزاً بطبيعة الحال، ورأيت المضيفات وهن يقدمن الطعام بمهارة ورشاقة، لكني مع ذلك لاحظت أن المضيفة تجاوزتني أكثر من مرة وقدمت الطعام للراكبة الجالسة بجواري ثم قدمت للمقاعد المحاذية لي والمقاعد التي تسبقني والأخري التي تليني.. كل الركاب بمقصورتنا اختاروا طعامهم وشرعوا في الأكل بينما أنا الوحيد الذي ما زال في الإنتظار. في البداية كبحت غضبي وانتظرت أن ينتبهوا أنني لا آكل مثل الآخرين، ثم علا صوتي منبهاً: إيه يا جماعة.. أنا معكم على هذا الرحلة إن كنتم لا ترونني!. ابتسمت المضيفة في ود ثم اقتربت مني وقالت هامسة: متأسفون جداً ولكن تذكرتك مجانية!.

قلت في دهشة: وماذا يعني هذا؟ هل صاحب التذكرة المجانية بلا جهاز هضمي ولا يحتاج للطعام؟.. لقد ركبت في رحلات مماثلة عشرات المرات ولم يحدث أن منعت شركة الطيران عني الطعام بحجة أن التذكرة مجانية.. ثم أضفت: وعلى شركتكم هذه أتيت منذ يومين إلى فانكوفر وتم تقديم وجبة لي أسوة ببقية الركاب. ردت المضيفة بلهجة حيادية: سيدي لقد صعد أحد الركاب بعد أن اشتري تذكرة في اللحظة الأخيرة ولم يكن من المتيسر طلب وجبات إضافية حتى نقلع في الميعاد، لهذا فقد عملنا بما ينص عليه «دليل العمل» واستثنينا الراكب المجاني ونحن نتوقع منه أن يقدّر موقفنا باعتباره زميل في نفس المهنة. وجدتني أرمقها بابتسامة يائسة وأنا أقول: أنا موافق على وجبة من وجبات الدرجة السياحية لو كان لديك منها. قالت وعلامات الخجل تبدو عليها: نعم لدينا وجبات إيكونومي، لكنك بالضرورة تعلم أننا لا يمكن أن نقدم مستويين من الطعام على نفس الدرجة.. هذا خرق لبروتوكول العمل.

كنت أعلم أن كلامها صحيح لكنني كنت أتضور جوعاً ولم أكن قد أفطرت بالفندق قبل الذهاب للمطار. قلت في محاولة أخيرة: بعض شركات الطيران تبيع وجبات بالفلوس.. لو كان لديكم أي شيء يؤكل أنا مستعد لدفع ثمنه. اعتذرت بأدب ثم انسحبت.

عندما كانت الطائرة تهم بالهبوط في مونتريال ليلاً قررت أن أتوجه لأحد مطاعم المطار لألتهم كل ما أستطيع من طعام.. لكن الغريب أنني وبينما أقترب من المطعم شعرت أن الجوع يتلاشى وأنني لا

أرغب في الطعام كما كنت أظن. لقد كان الشعور بالحرمان هو ما يضغط على وليس الشعور بالجوع!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رحلة إلى لندن

أخذ الملحن الشهير سيارته وانطلق حيث توقف في أحد الشوارع الجانبية بوسط البلد بجوار بنسيون متواضع. لم ينزل من السيارة لكن أطلق بوقها بنغمات يعرفها صديقه الشاعر ساكن البنسيون الذي نظر من الشباك وتهللت أساريره قبل أن يسارع بالنزول لملاقاة صاحبه.

الى أين؟ تساءل الشاعر. قال الفنان الموسيقي وهو يسرع بالسيارة: سنذهب إلى لندن الآن.

لم يفهم الشاعر معني هذا الكلام.. لندن.. كيف؟ ليس معي تأشيرة ولاتذكرة، بل ليس معي جواز سفر.

رد الفنان والسيارة تشق طريقها نحو المطار: لا حاجة بنا إلى هذه الأشياء، سنسافر في طائرة صديقي الملياردير الشيخ فلان، وهو ينتظرنا الآن على الطائرة التي تتأهب للإقلاع.

كان الملحن الموهوب يعيش حياة بوهيمية خالية من أي نظام، طابعها المميز هو الإهمال، إذا طلعت في ذهنه فكرة نفذها دون أن يغرق في الحسابات التي تفسد المغامرة! وكان بيته مفتوحاً لكل من هب ودب حتى أن هذا البيت سيشهد فيما بعد حادثة مروعة، ملخصها أن امرأة كانت في ضيافته عُثر عليها مضرجة في دمائها بعد أن سقطت من نافذته أو رماها أحد ضيوفه السكارى دون أن يدري!.

كان الشاعر مبهوراً وهو يجلس داخل الطائرة الخاصة التي تشبه القصر من الداخل، وذلك بعد أن استقبله في المطار ومعه صديقه الملحن رجل مهم يضع على وجهه نظارة سوداء اصطحبهما في سيارة سارت بهما حتى الطائرة القابعة في زاوية منعزلة من المطار.. كل ذلك دون المرور على جمارك أو جوازات أو بوابات سفر. الأكثر مدعاة لدهشة الشاعر الصعيدي هو أنه بعد هبوط الطائرة في لندن خرجوا جميعاً ومروا من مخرج خاص دون جوازات أو جمارك أيضاً.. ما هذا؟ هكذا حدّث نفسه.. هل بلاد الإنجليز أيضاً سداح مداح في مواجهة طوال العمر أصحاب المال والنفط؟. لقد كان يظن أن القاهرة وحدها المستباحة فإذا ببلاد العالم الأول لا تقل سبهللة عندما يتعلق الأمر بالأمراء والشيوخ!.

وجد نفسه داخل سيارة من أسطول السيارات الفارهة التي كانت في انتظار الشيخ وحاشيته، وبعد رحلة في شوارع لندن وصل الجمع الأميري إلى فندق ريتز كارلتون. أعطوه غرفة كبيرة وجد بها روب للإستحمام وشبشباً ملوناً ومجموعة من العطور في لفة أنيقة، غير سلة فواكه وزجاجة شمبانيا.. أما ثلاجة الغرفة فقد حفلت بأصناف مختلفة من الأجبان علاوة على عبوات صغيرة من الويسكي.

بعد قليل أقبل عليه أحد الشماشرجية يستدعيه للإنضمام إلى الجمع عند الشيخ. كانت السهرة مشتعلة في الجناح الأسطوري الخاص بالشيخ، وقد فوجيء الشاعر بأنه وصاحبه لم يكونا المدعوين الوحيدين، لكن وجد في معية الشيخ بعض الفنانات والفنانين المشهورين من بلدان عربية مختلفة حضروا من أجل مشاركة الشيخ أنسه وسروره. عزف الملحن الكبير على عوده وشدا بالكثير من ألحانه الرائعة وملأ الأفق سحراً وغناء، وغنت كذلك المطربات السورية والمغربية والتونسية.. أما عن فقرة الرقص فقد تشاركتها الراقصات العربيات جنباً إلى جنب مع رفيقاتهن الروسيات.

كان الطعام والشراب من النوع الفاخر الذي لم يألفه الشاعر الطيب عاشق الشوارع والحواري والناس الطيبين. في تلك السهرة سُفِحت جبال من الكافيار والفواجرا، وأريقت أنهار من الشمبانيا والكورفوازييه، ووجد الشاعر نفسه مأخوذاً بهذا الجو العجيب وهذه الدنيا المخملية التي لم يتصور

وجودها.. لا يستطيع أن يصف نفسه في هذه السهرة بأنه سعيد رغم كل ما بها.. هو محتار أكثر منه سعيد، ويشعر بغربة وسط هؤلاء الناس. اندفع إلى الطعام والشراب حتى ينخمد داخله هذا العقل الذي يفكر، وحتى يتمكن من الإندماج مع الحضور مثل صديقه الملحن الذي بدا في أحسن أحواله مستمتعاً بالغناء والرقص والطعام والشراب والنساء.. بكل شيء.
في نهاية السهرة قام متخماً يجر قدميه إلى غرفته وتحسس المفتاح في جيبه قبل أن يدسه ويفتح الباب ثم يرتمي على السرير في نوم طويل. استيقظ الشاعر عند الظهر وفرك عينيه ليتأكد أن ما يحدث حقيقي وأنه فعلاً في لندن. أخذ حماماً سريعاً ثم اتصل بصديقه في غرفته لكن التليفون لم يرد. عاود الإتصال مرات عديدة بلا فائدة، فنزل إلى اللوبي وتوجه لأحد الموظفين وسأله بإنجليزية كسيحة عن صديقه الملحن. قال الموظف: لقد رحل الشيخ منذ قليل ومعه الحاشية كلها.. رحلوا جميعاً إلى باريس.

مادت الدنيا بالشاعر ووقف حائراً لا يدري ماذا يفعل. كيف نسيه صديقه وانطلق مع الشيخ في مغامرة جديدة؟ ألم يتذكر أنه أحضر معه أحداً؟.. لقد كان يعرف صاحبه ويعرف إهماله، لكن لم يتصور أن يأتي به من القاهرة ثم ينساه في الفندق ويسافر!
نظر لنفسه في جزع.. إنه الآن في لندن بلا فلوس ولا أوراق ولا ملابس، فماذا يفعل؟. تهاوى على أحد المقاعد واجماً، ثم قام وأخذ يذرع ردهة الفندق جيئة وذهاباً وهو يفكر في المأساة التي يتعين عليه مواجهة تبعاتها.. إنه حتى لا يتحدث الإنجليزية حتى يشرح حكايته لموظفي الفندق.. وحتى لو استطاع أن يحكي فماذا بمقدورهم أن يفعلوا من أجله؟. لقد شعر في هذا الوقت بالضياع كما لم يشعر به من قبل.
ظل على هذا الحال حتى تعرف عليه بعض النزلاء المصريين.. حكى لهم الحدوتة فهدّأوا من روعه وأخذوه إلى القنصلية المصرية التي أعادته إلى مصر.
العجيب أنه بعد مرور أسبوع عندما مر عليه صديقه الملحن بالسيارة فإنه نزل للقائه.. لم يعاتبه ولم يلُمْه لأنه لا فائدة، لكن فتح له أحضانه ثم ركب معه دون أن يسأله عن الوجهة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يا ليلة بيضا

من يلتمس العزاء لدى الآخرين، كمن يغسل أحزانه في نهر الأحزان!
لو عثرت بغلة في القاهرة، لتم الإجهاز عليها وتقطيعها وعملها سجق وشاورمة وطواجن وسنجاري!
عبد العاطي يطلب الانتقال بمعمله إلى مدينة بيت لحم حيث القطعيات الممتازة، بتلو وضاني وكندوز!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خمسة فرفشة

كان بصحبتي صديق قديم سافر بعد التخرج مباشرة واستوطن بلداً خليجياً وقضي ثلاثين عاماً بعيداً عن مصر. هذا الصديق يهوي المزاح والمقالب منذ أيام الدراسة، ومن الواضح أن البعاد والغربة لم تنالا من قدراته الكوميدية. ركبنا تاكسي من الدقي وطلبنا من السائق توصيلنا إلى ميدان رمسيس. في السيارة فوجئت بصديقي يتحدث إلى بلهجة خليجية وهو بطبيعة الحال يتقنها بحكم سنين الغربة. قال لي بمنتهي الجدية: مصر هاذي خوش بلد. سألته لماذا يراها هكذا رغم أن أهلها يرون العكس. انطلق بنفس اللسان الخليجي يحكي عن الأسعار الرخيصة لكل السلع والخدمات في مصر. كنت أظنه جاداً بحكم أن الجنيه المصري انهار وبالتالى فإن كل من يحمل ريالات أو دنانير أو دراهم يستطيع أن يعيش ملكاً بملاليم خليجية!.. لكني فوجئت بأنه يمزح عندما قال قاصداً أن يُسمع السائق: هل تتصور يا رجل أنني أكلت في مطعم كباب ومعي زوجتي والأولاد ثم دفعنا أربعين ألف جنيه فقط؟.

تحرك السائق في مكانه وبدا أنه يستغرب كلام هذا الراكب الخليجي. قلت أجاريه بعد أن فطنت إلى حيلته: أنت تعلم أنني أعيش في بلدكم منذ سنوات طويلة لم أنزل فيها إلى مصر ولقد فوجئت مثلك بمستوى الأسعار هنا.. كل شيء رخيص لدرجة أنني اشتريت فور وصولي شقة 86 متراً في زهراء مدينة نصر بسبعة مليون جنيهاً فقط. رد صديقي الذي تقمص دور ثري من الخليج: اسمح لي أن أزيدك من الشعر بيتاً.. لقد ذهبت إلى محل ملابس في أحد المولات واشتريت حُلّة وأربعة قمصان وربطة عنق ولم أدفع سوي إثنان وخمسون ألف جنيه! قلت له: بصراحة لم أعد أندهش من هذه الأسعار الرخيصة بعد أن دخلت السينما أمس وشاهدت فيلماً جديدا بصحبة شخص تعرفت عليه وأخذنا فيشار وشيبسي وبيبسي وشوكولاتة ولم يأخذ مني سوى ثلاثة آلاف جنيه فقط. كنا نتحدث بجدية بالغة ونكتم الضحكات بينما نراقب السائق الذي احمرت أذناه وهو يصيخ السمع دون أن يتدخل. قال صديقي: حتى ساندوتشات الشاورمة في هذا البلد ليس هناك أرخص منها.. السندوتش الواحد بسبعمائة وخمسين جنيهاً. أجبته: ليس هذا فقط.. إن أسعار التاكسيات في هذه المدينة أرخص من أي مكان آخر لدرجة أنني ركبت سيارة أجرة أمس من مدينة نصر إلى العباسية.. كم تظنني دفعت؟ قال صديقي: لا أدري. قلت: دفعت أربعة آلاف جنيه فقط. تظاهر الصديق بالدهشة وقال: ربما كان العداد لا يعمل لكنك بصراحة ظلمت الرجل!. في هذه اللحظة كانت الأذن الحمراء للسائق لا تكتفي بالإحمرار لكنها تحركت ذاتياً في مكانها فيما يشبه الطأطأة وبدا لنا أن الرجل يشعر بإثارة شديدة لهذا الحوار الذي صادفه على غير انتظار بين إثنين من المغفلين أرسلتهما له الأقدار.

وصلنا إلى ميدان رمسيس فطلبت من السائق أن يركن إلى اليمين. ترجّل صديقي من السيارة وتبعته ثم أدخلت رأسي في الشباك وسألت السائق: كم تريد يا رجل؟. بدون تردد أجاب السائق: ثمانية آلاف جنيه فقط لأجل خاطركما لأنكما تبدوان أولاد بلد من النوع الجدع.

منحته ثلاثين جنيهاً وانصرفت مع صديقي دون أن ننظر وراءنا لأن خيبة الأمل ليست مشهداً جميلاً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

حُبـي الأول

قال محمود شكوكو رحمه اللـه إن الحب أصعب من عضة الكلب، وأنا لا أستطيع أن أؤكد هذه المعلومة حيث لم يعضني كلب حتى الآن، لكن ما أستطيع قوله هو أن الحب مؤلم إذا لم يكن منه بد.
زمان وقت أن كنت طالباً بالثانوي كنت أرقب ماجدة في غدوها ورواحها. لم تكن كغيرها من البنات أو هكذا كنت أتخيل. كان النظر إلى عينيها يرسل شحنة كهربية إلى قلبي فيشعرني بالقشعريرة، ولم تكن تصمد أمام نظراتي الحالمة فكانت تشيح بعينيها وتغضي في حياء حقيقي بعد أن يحمر وجهها. عشقتُ رشاقة خطواتها وهي تخطر في مريلة المدرسة وترتدي فوقها معطف قصير. كان المعطف قصيراً لأن المريلة نفسها كانت قصيرة تصل لحد الركبة، والدراسة كانت تبدأ مع بواكير الشتاء وتنتهي بنهايته. زمان أيام المدرسة كانت مصر تعرف الشتاء والبرد على العكس من الآن.. ومن لا يصدق فليسأل أهله.
حلمت بماجدة بكل عنفوان ورومانسية المرحلة وتخيلتها معي فوق القمر، كما تخيلته مزروعاً بالفل والياسمين، وكنت أنسج لها عقوداً من الأزهار أطوق بها عنقها النحيل. صحبتها معي في الخيال إلى بلاد لم يسبق لي زيارتها، لكني قمت لها هناك بدور الدليل فأريتها الشطآن البعيدة ومنابع الأنهار وقمم الجبال وسفوحها وركبت معها التلفريك وتجولنا في الغابات وجلسنا على الرمل، ومشينا مع الرعاة وسهرنا مع المزارعين في الحقول، وغنيت لها أثناء كل هذا أغاني عبد الحليم.
وف يوم صحيت على صوت فرح بصيت من الشباك. زينة وتهاني وناس كتير دايرين هنا وهناك. سألت ما الأخبار؟. قالوا خطوبة ماجدة.. عقبالك.
مادت الأرض بي وتصورت أن نهاراً جديداً لن يطلع عليّ. لم أدر ماذا ينبغي أن أفعل كرد فعل على هذا الموقف، ولم أستطع أن أستدعي من خبراتي تصرفاً مناسباً حيث خلت هذه الخبرات من موقف مماثل.
فكرت لو أن البيت كان مزوداً ببار مثل البيوت في الأفلام لكنت فتحت زجاجة وعملت لنفسي كأساً بالثلج أو بالصودا وشربت حتى أنسي. هكذا يفعلون في الأفلام. لكن ما حيلتي ووالدي لم يؤسس ركناً للشراب داخل المنزل. لو أن أبي كان استيفان روستي أو عباس فارس لاهتم بهذا الموضوع، أما أبي الرجل الطيب فلا يشغله سوي العمل من أجل إطعام تسعة أفواه ولا يشغل نفسه بإيجاد حلول لمشكلة كالتي أواجهها.
إذن فلأخرج ولأفعل ما فعله عبد الحليم حافظ عندما تركته لبني عبد العزيز وتزوجت عمر الحريري في فيلم الوسادة الخالية. لقد ذهب حليم إلى البار وشرب حتى تخلعت قوائمه وعجزت عن حمله.. ولم ينس أن يغني «تخونوه».
أنا أيضاً أستطيع أن أغني تخونوه. لكن المشكلة أنني لا أشرب.. ليست مشكلة ولا حاجة.. عبد الحليم أيضاً كان لا يشرب.. لكن أين هو هذا البار؟. لقد فعل عبد الحليم هذا في زمن كانت البلد تمتليء بالبارات وكانت أسعار الشراب رخيصة، أما الآن في السبعينات فقد انحسرت الخمارات وهي آخذة في الزوال، فأين أجد خمارة بنت حلال أقوم فيها بتنفيذ الكتالوج الخاص بالمصدومين في الحب؟.
شيء آخر نسيته هو أن حليم لم يكن وحده.. كان معه صديقان يشاركانه مشاعره ويتألمان لألمه هما

أحمد رمزي وعبد المنعم إبراهيم، أما أنا فأقاسي وحدي وليس معي أحد قد يساعدني ويحملني إلى المستشفى بعد أن أسقط من الإعياء، والأهم ليس معي فلوس من أجل دخول البار، فضلاً عن أن القانون لا يسمح بتقديم الخمور لفتي في السادسة عشرة من عمره.. ما العمل إذن؟.

ما زلت أذكر بعد كل هذه السنين أنني قضيت الليلة عند «نجف» بتاع الفول في العباسية حيث أكلت اثنين فول مع قرصين طعمية بالسمسم كان فيهم العزاء الذي مسح جانباً من آلامي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الهدية والوهم الجميل

كتبتُ أحكي للقراء عن قصة حب في بواكير الصبا كانت بطلتها ماجدة ابنة الجيران التي ذوّب قلبي زواجها وابتعادها بينما كنت أبني لها قصوراً في الخيال. وقد لفت نظري تعليق طريف لأحد القراء خاطبني فيه قائلاً: أنت تعذبت قليلاً لأنك لم تتزوج ماجدة، وأنا تزوجت ماجدة فشقيت العمر كله!.
دفعني هذا التعليق لتخيل فكرة أن يقوم زوج ماجدة بتركها طواعية وإهدائها لي لأعوض بها السعادة التي فاتتني تحقيقها منذ ربع قرن.
للوهلة الأولي قلت لنفسي: هذا رجل فقري لا يقدر النعمة التي في يده ولا يفهم الحرمان الذي قاسيته في غيابها، ولا شك أنه عندما اقترن بها كان رجلاً مجرباً ولم تكن هي قصته الأولي، وربما اختارها أو اختاروها له بالعقل دون أي عواطف. ومن المؤكد أن حصوله السهل عليها وحضورها الدائم لديه لم يمنحه الفرصة ليفتقدها ويقاسي الويل في غيابها.. والشوق لا يعرفه كما يقولون إلا من يكابده.
ومع هذا فقد اعترض تفكيري فكرة مختلفة تقول أن هذا الرجل قد عرف ماجدة على نحو لم يتح لي واقترب منها جداً لدرجة لم تسمح بوجود الخيال، ولا شك أنه قد رآها مئات المرات وهي صاحية من النوم بشعر منكوش، وشم رائحة الثوم في ملابسها وهي بالمطبخ، وربما استمع إليها وهي تتجشأ بعد وجبة دسمة، كما أنه قد دخل معها في نقاشات حادة حول مصروف البيت وصعوبة المعيشة. الخلاصة أن الوهم بينهما قد سقط، ولهذا فلا يمكن له أن يراها بنفس العين التي أراها بها. لكني مع هذا قلت لنفسي ما الغريب في كل ما فات؟ وهل يتلاشي الحب لأننا لم نجد المحبوب كائناً نورانياً شفافاً كما تخيلناه بعدما اتضح أنه إنسان مثلنا يأكل ويفرز العرق ويحتاج للحمّام!.. لكن رويدك.. من أدراك أنه ضجر من ماجدة لهذا السبب؟ ربما لديه أسباب موضوعية تتعلق بالطبع والعادات.. من أدراك أنها ليست أنانية؟ ومن أين تعرف أنها كانت ستقف معك في وجه العواصف والأنواء التي صادفتها في حياتك؟.. يبدو أن الموقف معقد للغاية.. لكن ماذا أفعل؟ هل أقبل الهدية وأبدأ مع ماجدة من جديد لتعويض قصة الحب التي لم تتم.. أم آخذ العبرة من هذا الرجل وأؤثر السلامة؟.
في الحقيقة أنه من الممكن أن أضرب صفحاً عن آثار الزمن.. عن الشكل الذي تغير والتجاعيد التي ظهرت والقوام الذي فقد تماسكه، عن شكل الملابس التي اختلفت والشعر الذي اختفي تحت الغطاء، لكن المشكلة تظل أعمق من ذلك.. المشكلة أن تجارب الحياة تفقد الإنسان شيئاً عزيزاً هو البراءة، ولهذا فإن الشاعر صلاح عبد الصبور كان مستعداً لأن يدفع ما تبقي من عمره لقاء لحظة واحدة من البراءة، وعليه فإن أي مظاهر للدهشة سأراها على وجهها ستكون متكلفة وغير حقيقية، بعد أن قامت السنين بالواجب وأرتها كل شيء!. ولا شك أنني سأفتقد ارتعاشة اليد التي تحدث للأنثي عند اللمسة الأولي، كما لن أري احمرار الوجه لدي سماع كلمة غزل، أو احتقانه عند سماع كلمة نابية، وربما تكون قد عرفت بالتجربة أهمية الكذب والإلتواء ودورهما المهم في استمرار الحياة وتماسكها، بخلاف أن الآلام والأحزان التي مرت بها ستكون قد تركت ندوباً في النفس أفقدت ابتسامتها الصفاء والعذوبة، هذا غير التلقائية التي رحلت بفعل الخوف من المستقبل، والتشاؤم الذي حل بفضل ضربات الزمن، والأهم من كل هذا.. ذلك الوهم الجميل الذي يعيشه المحبون والذي لن أستطيع

استحضاره معها.. صحيح هو وهم مؤقت يعيشه العشاق ثم يفيقون منه، لكنه مع ذلك أساسي لاحتمال وعثاء الطريق بعد ذلك.
لهذا فأغلب الظن أنني سأرفض الهدية التي تشبه طوق نجاة مخروم ألقي إلى رجل، بعد أن صارع الموج وكاد يصل إلى الشط!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بسيوني أفندي

جلس بسيوني أفندي على القهوة وأمامه الشاي الأخضر ثم سأل القهوجي: متي يحضر المعلم سليمان؟. أجاب: هو على وصول وقد يظهر بين لحظة وأخري. أخذ بيومي يرتشف الشاي بهدوء وبدت على ملامحه أمارات الرضي.. لقد اتخذ قراراً بعد طول تفكير ومن الواضح أن القرار قد جعل نفسه تهدأ وتطمئن.

أقبل الحاج سليمان ودخل القهوة وحيا الجالسين ثم اتخذ مقعده الوثير في صدر المكان وجري الصبي سريعاً يحضر له الشيشة. قام بسيوني أفندي وتوجه إلى الحاج. استقبله سليمان بباشة وأمر بإحضار كرسي له إلى جواره. بعد السلامات والسؤال عن الصحة دخل بيومي مباشرة في الموضوع فقال: عندي كلمتين يا حاج ولكني متحرج منك، ولقد أمضيت الليلة السابقة أفكر هل أقول لك أم أتجاهل الأمر وأعطي له ظهري. نظر إليه سليمان مستطلعاً: خير يا بسيوني أفندي.. شغلتني. قال: هناك كلام عرفته بشأن نوسة. احمرّت عينا الحاج سليمان وهتف بانزعاج: نوسة زوجتي؟ هز بسيوني رأسه بالإيجاب. انفعل سليمان: قل يا بسيوني بسرعة ما الذي سمعته؟ قال بسيوني: لا يتعلق الأمر بشيء سمعته ولكني على مدار عدة شهور تابعت الأمر بنفسي واستوثقت من صحته ولم آت لأحدثك فيه إلا بعدما تأكدت أنه حقائق وليس شائعات. أخذ سليمان ينفخ في الهواء وهو يميل برأسه يمني ويسري مردداً: اللهم طولّك يا روح.. هل ستطول الديباجة وسنقضي فيها الليل بطوله؟ نظر إليه بسيوني في أسي: سأقول لك ورزقي على اللـه.. الست نوسة تخونك يا حاج. إيه؟.. بتقول إيه؟.. صاح الحاج سليمان. رد بسيوني: كما أقول لك.. إنها على علاقة بشخص آخر ولقد راقبتهما واستطعت أن أوثق اللقاءات بالصور، كما أن لديّ أشرطة فيديو يظهران فيها معاً وهما يأتيان الفاحشة. صرخ سليمان: سيادتك تتقمص الآن شخصية صلاح نصر وتصور الناس وهم بلابيص ثم تخبر أزواجهم بالحقيقة؟.. انت جاسوس يا بسيوني.. مؤكد جاسوس. صاح بسيوني: يا حاج إنني لم أفعل ما فعلت إلا لأنني أحبك ولم أرض لك أن تعيش مخدوعاً مع من لا تصونك، لذلك استأجرت مخبراً خاصاً كلفني الشيء الفلاني وأتي لي بالحقائق دامغة.. ها هي حقيبة تضم كل الوثائق التي تحتاج إليها حتى تتأكد من صحة كلامي. تناول الحاج الحقيبة ووضعها إلى جواره ثم حدج بسيوني بنظره فاحصة قبل أن يسأله: كم مرة تعتقد أنها خانتني؟ رد بسيوني: في حدود ستين مرة. هتف سليمان: يا دين النبي.. أمعقول هذا؟ ثم التفت إلى الجالسين بالقهوة قائلاً: اسمعوا يا ناس، هذا الرجل يقول إن نوسة خانتني ستين مرة فما قولكم؟ سرت همهمة بين الحضور ثم علت الأصوات.. قال أحدهم: إنه كذاب.. نوسة لم تذهب للرجل إياه سوي سبع مرات فقط، وقال آخر: إنه فاسق يريد أن يسيء لسمعة المدام مع أنها لم تخنك سوي مرات قليلة، وقال ثالث: إنه ملعون، زوجتك على علاقة بعدد محدود من الرجال!. استقر أمر الجمع في النهاية أن بسيوني أراد بمبالغاته أن ينال من سمعة المعلم سليمان، لذا فقد قضوا بأن يرموه في حفرة ثم يرجموه حتى الموت.. وكان هذا ما فعلوه من أجل أن يجعلوا منه عبرة لكل أمثاله من الذين يخطئون في العدّ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

السـؤدُد

مع إندلاع ثورة 1919 علا صوت المصريين بمطالبهم، وكان أهم هذه المطالب هو الإستقلال. لم يكتف المتظاهرون برفع شعار الإستقلال وحده وإنما لوّحوا بأن البديل لن يكون سوي الموت، وليس أي موت، إنما الموت الزؤام!.

لم يتوقف واحد من المتظاهرين ليسأل نفسه عن الموت الزؤام وماذا يكون بالضبط.. لقد ابتدع الشعار أحد المتظاهرين الذين سخنت منهم الجمجمة فألقي شعاره وسط الجموع فإذا بهم يتلقفونه ويرددونه دون أن يسأله أحدهم: زؤام إزاي يعني؟ ولعل عدم تجاوب الإنجليز مع هذا المطلب يعود إلى غموضه حيث لم يفهم المندوب السامي ماذا قد يفعل المصريون بالضبط إذا لم تمنحهم بريطانيا الإستقلال. وقد قال بعض المفسرين والشرّاح إن الموت الزؤام هو الموت المريح، بينما زعم البعض الآخر أنه الموت المستعجل، ومضي فريق ثالث فقال إن الموت الزؤام يعني أن يموت المرء ميتة بشعة تتحدث بهولها الركبان.

لم يكن الموت الزؤام هو الشعار الغامض الوحيد الذي رفعناه، لكن منذ أوائل القرن العشرين سعي المصريون لتحقيق السؤدد لبلادهم، وقد نجد في خُطب مصطفي كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ومصطفي النحاس وصولاً لجمال عبد الناصر وأنور السادات وعوداً بالسعي لتحقيق السؤدد لهذا الوطن.. كما أن موضوعات الإنشاء في طول مدارس البلاد وعرضها قد اشتملت على هذه الأمنية التي عبر عنها التلاميذ الصغار بكل الصور، ولا يكاد يوجد تلميذ لم يطو صدره على حلم عزيز بأن يكبر ويتعلم ويتفوق ليحقق لمصر السؤدد.

وأيضاً في غمرة الإنفعال بالوطن والرغبة في إعزازه والنهوض به لم يتوقف أحد ليسأل نفسه: ما هو هذا السؤدد الذي أريده لوطني؟. والحقيقة أن الناس وسط إحباطهم ويأسهم كثيراً ما سألوا أنفسهم عن سر الخيبة والوكسة التي يرفل فيها الوطن رغم كل الأماني الطيبة، وكثيراً ما أبدوا الدهشة من أن الأمنيات لا تتحقق والدعاء لا يُستجاب. لكن وسط الظلام بزغ حدث مهم بدد الحيرة وغيّر قناعات الناس عندما أجري بعض العلماء في اليابان أبحاثاً مطولة خرجوا منها بنتيجة مفادها أن السؤدد هو «حاجة قلة أدب».. إذن عشنا العمر كله نطلب السؤدد ونحن لا نفهم أننا نرجو مطلباً بذيئاً لا يصح أن نطلبه، ولعل كل ما لاقيناه من أهوال في حياتنا يعود إلى أن السؤدد الذي طلبناه قد تحقق بالفعل وكنا نتصور أنه لا يأتي!. وفي قضايانا الهامة يمكن أن نلمس أثر السؤدد في كل الملفات، فمثلاً رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس كلما احتاج إلى سؤدد ذهب إلى نتانياهو ليعطيه سؤدداً يعود به إلى شعبه ويوزعه عليهم.. ولماذا نذهب بعيداً.. إن زيارة وزير خارجيتنا إلى الأرض المحتلة واجتماعه برئيس الوزراء الإسرائيلي وجلوسهما سوياً يشاهدان مباراة النهائي الأوروبي لم تكن سوي محاولة لطلب السؤدد، ومن الواضح أن الأخ سامح لم يطلّع على البحث الياباني فذهب يطلب سؤدداً على قديمه، دون أن يدري أن ما يلتمسه عند نتانياهو لا يرضي اللـه ورسوله.

عموماً ينبغي في مقبل الأيام أن يصدر منشور يتم تعميمه في المصالح الحكومية والمدارس يمنع الناس من طلب السؤدد لأننا لم نعد نحتمل المزيد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

حشمت والبتانوني

يتسم الناس في الغرب بحب للحيوانات لا حدود له، يبلغ أحياناً أن يوصي بعضهم بثروته بعد موته لكلب أو قطة!. صحيح أن الثروة تؤول فعلياً للحكومة، لكن صاحب الحيوان يموت وهو يشعر بالرضا.

ويثير هذا دهشة البعض عندنا فيتساءل: كيف يكون هؤلاء الناس بكل هذا الحنان و الرحمة مع القطط والكلاب وغيرها من ذوات الأربع، بشكل يصل إلى درجة أن يحبس الناس أنفاسهم طوال قيام قوات الدفاع المدني بمحاولة إنزال قط عالق على شجرة، بينما كاميرات التليفزيون تنقل تفاصيل العملية لحظة بلحظة؟. كيف يكونون بكل هذه الرقة ورهافة المشاعر مع الحمام واليمام والبط والوز، بينما لا يترددون في دعم المجازر التي يتعرض لها الإنسان العربي في فلسطين والعراق ولبنان؟. وكيف يمكنهم الاستمتاع بالحياة الهانئة الرغيدة بينما طائراتهم تدك القري الأفغانية الفقيرة وتهدمها على رؤوس سكانها الآمنين، وكيف يوجهون نوازع الخير داخلهم نحو السنجاب والسلحفاة والقرد ثم يتجاهلون ملايين البؤساء من البشر الذين يموتون من الجوع في قارات العالم الخمس؟.

لا أظن أن الإجابة صعبة.. ذلك أن حب الحيوانات والحدب عليها يمنح الإنسان شعوراً بالرضا دون أن يكلفه شيئاً، لكن تعاطفه مع إنسان مسحوق هو مسؤولية تقتضي تقاسم الرفاهية التي يحياها معه، وتقتضي تعويضه عن الثروات التي نهبتها بلادُه من بلادِه!. والأمر نفسه ينطبق على الأثرياء في بلادنا الذين أخذوا عن الغرب الاهتمام بالحيوان باعتباره سمة من سمات الإنسان المتحضر، في الوقت الذي كوّن معظمهم ثروته من خلال السرقة والنهب!. ومن الطبيعي أن الإنسانية الحقة كانت تقتضي من هؤلاء التعاطف مع بني الإنسان والكف عن نهبهم.. لكنهم وجدوا التعاطف مع قطة أقل تكلفة بكثير!.

ولا أقصد بالطبع أن كل محبي الحيوانات لصوص، لكن أغلبهم مصابون بالشيزوفرينيا.

وعلى الرغم من رغبتي في أن أبدو متحضراً فإن حاجزاً ظل قائماً بيني وبين القطط والكلاب منعنا من أن يحب أحدنا الآخر، ولم أفلح أثناء عيشي في كندا في التظاهر بحب الحيوانات الأليفة رغم إدراكي أن اقتناء الحيوانات هناك يؤكد للجيران أنك شخص طبيعي ويفتح أمامك الباب لعضوية جماعتهم!.

وأذكر أن جاراً عجوزاً متعجرفاً كثير الثرثرة كنت ألقاه في المصعد دائماً كان ينظر لي بشك لأنني لا أقتني أي حيوان، وكان يحاول أن يقترب من الموضوع ويحوم حوله من بعيد فسألني مرة متي أخرج بكلبي لأنزهه، فقلت له إنني لا أقتني كلباً فقال وهو يبتعد... نعم.. نعم.. أنا أعلم أن هناك من يفضلون القطط!.

من الواضح أنه أقنع نفسه أنني من هواة القطط لأنه رفض تقبل فكرة أنني لا أحب الحيوانات.

بعد مدة كان قد تجرا أكثر في الحديث معي ومن الواضح أنه فهم أنني لا أرعي القطط أيضاً.. فاتحني الرجل في الموضوع دون مواربة مقترحاً أن أذهب معه لمحل الحيوانات والطيور بآخر الشارع لأشتري كلباً أو قطة صغيرة أحصل بها على اعتراف السكان!.

لا أنسي أنني أفزعت الرجل عندما حكيت له حكاية محمد فتحية زميلي في المدرسة الذي كان يتسلل خلف القطط الضالة في الشارع ويمسك الواحدة من ذيلها ثم يلفها في الهواء بقوة قبل أن يطوحها ويتركها تطير لتسقط على أحد السائرين بالطريق!.

سألني العجوز في هلع: ما هذا الذي تقوله؟ كيف فعل هذا.. وهل أبلغت البوليس عنه؟.

قلت: لا لم أبلغ البوليس.

من بعدها لم يُلق الرجل على السلام أبداً وصار يتجنبني.

الغريب أنني حكيت له قصة واحدة فقط ولم أخبره بحكايات أخرٍ من الطفولة، منها واحدة تتعلق بقطين كبيرين كان يملكهما جار لنا فقير ومعدم ويشبه شخصية الكُحيت الذي كان يرسمه مصطفي حسين. كان الرجل بطبيعة الحال عاجزاً عن إطعام قطيه، لهذا فقد أطلقهما في منور العمارة ليدبر كل منهما أمره. ما كان يثير سخريتي مع أصحابي أنه كان يسمي واحداً منهما لوسي والآخر بوسي.. مع أن النظرة المتفحصة للقطين دفعتنا لاختيار اسمين آخرين لهما.. أحدهما وكان شريراً ماكراً ينقض على الطعام في مطابخ الجيران ويتصيد الدجاج واللحمة أسميناه البتانوني.. على إسم مسجل خطر كان معروفا في الحي في ذلك الوقت، أما القط الآخر فكان شديد الألاطة يمشي بتؤدة وتصدر عنه نظرات متعالية شبيهة بنظرات عبد السلام النابلسي وهو يطالع الناس في تأفف، وكان يعيش عالة على ما يأتي به البتانوني.. لذا أسميناه القط حشمت.

لا أدري موقف العجوز الكندي لو أنني حكيت له عن النهاية الفاجعة للقط بتانوني والقط حشمت على يد أم نجلاء جارتنا التي أفقدها البتانوني صوابها من كثرة غاراته على مطبخها واعتدائه الدائم على الحلل والقدور حتى وهي ساخنة.. كيف أقول للعجوز ذلك وكيف أقص عليه مأساة القط حشمت الأليط الذي ذهب ضحية البتانوني رغم أنه لم يقتحم مطبخ أم نجلاء وإنما كان يأكل مما يأتي به البتانوني فقط.. هذا العجوز الكندي لن تحتمل أعصابه معرفة التفاصيل وهو الذي لم يحتمل الحكاية البسيطة الأولي.. لا شك أنه كان سيطالب بترحيلي على أول طائرة رغم أنني كنت مجرد شاهد على ما جري للقطين ولم أشارك فيما حدث لهما!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ابن مين في مصر؟

كنت أشق طريقي إلى المدرسة ابتداء من شارع بركة الرطل بالظاهر مروراً بشارع صبري قبل أن أنعطف يميناً وأدخل إلى شارع حمدي، وقبل النهاية أعبر شارع ذهني الذي يتفرع عنه شارع رستم، وفي آخر الشارع أجد نفسي في قلب ميدان فخري.

كان الوصول لمدرسة غمرة يقتضي أن أعبر يومياً شوارع بأسماء صبري وحمدي وذهني ورستم وفخري دون أن أجد شخصاً واحداً لديه القدرة على تفسير مَن يكون هؤلاء البشر الذين قطعت محافظة القاهرة صلتهم بآبائهم عندما أطلقت أسماءهم الأولي على شوارع هامة بحي الظاهر؟. هذا وقد فشلت في الوصول لإجابات مقنعة بشأن هؤلاء الناس ومعظم الإجابات كانت ظنيّة ولا يمكن إثباتها، بل إن بعض الظرفاء قد نسب نفسه إلى بعضهم، فزميلنا في الفصل أحمد ذهني أخبرنا أن شارع ذهني منسوب لوالده، وجارتنا سناء حمدي زعمت أن شارع حمدي على إسم أبيها.. وحتى التخمينات المعقولة التي قالت إن ميدان فخري يحمل إسم القطب الوفدي فخري عبد النور لم يكن من دليل عليها إلا زعْم أصحابها.

بعد قليل عرفت من أصحابي أن هناك شارع ماهر بالعباسية وأن أحداً من السكان لا يعرف من يكون الأخ ماهر، كما عرفت أيضاً بوجود شارع خيرت بالسيدة زينب وشارع منصور في باب اللوق وشارع مؤنس في عابدين. وبتقدم السن والخبرة والتجوال في العاصمة التقيت شخصياً بشارع رمزي وشارع قدورة وحارة دياب وعطفة فهمي وزقاق عطية ودرب عليوة.. وكلها هكذا أسماء مجهّلة لا تساعد من يريد أن يفهم، ويبدو أن اللجنة التي تجتمع لاختيار أسماء الشوارع يكون أصحابها في الغالب منفعلين ومتأثرين بأسماء معروفة لهم ولجيرتهم في الحي، فلا ينازعهم أحد عندما يطلقون على الشارع أو الحارة اسم عبد الشكور.. ولِمَ الحيرة فكلهم يعرفون عبد الشكور أفندي الرجل الشهم الذي أطفأ الحريق الذي اندلع في الدور الأول حيث شقة أم سهير ونجح في إنقاذ الأرملة وبناتها، ولهذا فقد حق أن يتم تكريمه وإطلاق إسمه على الحارة.. لا بأس بالطبع في تكريم البشر المحليين ونيلهم من الحب جانباً، ولكن ألم يدر بخاطر لجنة الأنس وهي تختار الاسم أن تفكر في الناس من خارج الحي أو أن تفكر في الأجيال التالية التي سيظل أفرادها يضربون أخماساً في أسداس وهم يتخبطون في تخمينات لا تجد من يؤكدها. وإذا كان الأمر هيناً بالنسبة لأسماء الحواري والعطوف والأزقة الداخلية التي لا يراها غير سكانها، فما القول في الشوارع الهامة التي تميز وسط العاصمة والتي يراها الجميع وينظرون في حيرة إلى لافتاتها دون أن يعرفوا أصحابها.

إن الأمر المتيقن منه هو أن القاهرة تتميز بتكريم أعلامها ومفكريها وأبطالها وشخصياتها المتميزة بإطلاق أسماءهم على الشوارع، وهي في هذا تختلف عن غيرها من العواصم العربية التي لا تطلق على شوارعها إلا أسماء الحكام والشيوخ والأمراء بافتراض أن أبناء الشعب العادي ليس بينهم شخص ذى قيمة، ولكن يتعين على القاهرة وهي تفعل ذلك أن تتلطف وتقول لنا هذا الشخص.. ابن مين في مصر؟

مصريات

الموازين والمكاييل والمقادير والمقاييس متعارف عليها في العالم، ومع ذلك فهي قد تختلف أحياناً باختلاف الدول، فهناك بلاد تتعامل بالكيلو متر في قياس المسافات وبلاد أخري تتعامل بالميل، وهناك دول تعرف الكيلو جرام ودول لا تفهم سوي الباوند. أما السوائل فقد اصطلح على احتسابها باللتر سواء كانت مشروبات أو وقود. وقديماً كان يوجد الرطل والأوقية والكيلة والصاع بالنسبة للموازين وكذلك الفرسخ والذراع بالنسبة للمسافات.

لكن لأن الشعب المصري له خصوصية لغوية حتى ولو كان يتشارك مع أكثر من عشرين دولة في الحديث باللغة العربية، فإنه درج على استخدام وحدات كيل وقياس لا يعرفها سوي المصريين. وليس من المتصور أن تجد أي جنس آخر يقول عن شربة الماء بُق مية، ولا أن تجد من يسمي كوب الشاي الصغير خمسينة، أو من يقيس حلوي الملبن بالحبل!. ليس هذا فقط لكن هناك وحدات أخري طريفة مثل استعارة قُرص الدواء عندما نتحدث عن الطعمية فنقول قرص طعمية، ثم لا نكتفي بهذا وإنما نقول عن روث البهائم بعد تجفيفه قرص جلّة. ومن التسميات الخاصة بالمصريين أيضاً صباع كفتة وهي تسمية لا وجود لها في اللغات الأجنبية التي تتحدث في العادة عن سيخ كفتة لكن إصبع لا يمكن!. عندنا أيضاً سُباطة موز وهي مجموعة الموزات المنتهية برأس واحد، أما القصب فالواحد منه اسمه عود، ومثله الريحان والقرنفل. وليس غريباً الحديث عن عنقود عنب لأنه موجودة في كل اللغات، لكن المصري القُح هو أن نقول عن البصلة الكبيرة فحل بصل وعن مفردة الثوم فص ثوم. أما وحدة قياس قمر الدين المرتبط بشهر رمضان فهو اللفة فنقول لفة قمر الدين، ومن الممكن أن تنطبق اللفة أيضاً على جولة قصيرة بالدراجة!

وبالنسبة للملح فوحدته المعتمدة في مصر هي الرشّة، وقد تتصاغر الرشة فتصير شعرة، كذلك النفحات المختلفة يمكن أن توصف لدي المصريين بالرشة.. ومن أشهر أنواع الرشات: الجريئة!. وفيما يتعلق بالتسالى والمقرمشات فإن القرطاس وحدة مناسبة للترمس واللب والفول السوداني، لكن البيض لدي السوبر ماركت يقاس بالكرتونة فيقال كرتونة بيض، وفي السوبر ماركت يمكن أن نجد باكو شاي وشبَكة برتقال، لكن عند الفاكهي الوحدة هي الكيس ومثاله: كيس جوافة.

بالة القطن ليست غريبة لأن العالم يعرفها بنفس التسمية، ومثلها حزمة البقدونس أو الجرجير لكن المصري المفتكس هو زِر خيار وكوز ذرة وكذلك كوز بطاطا. أما عن البرسيم فوحدة قياسه أو وزنه بالمصري هي العِلْو فيقال علو برسيم.. وفي محطات الوقود يمكن أن تجد من يقدّر البنزين بالصفيحة وهي وحدة قياس مصرية تساوي 20 لتراً. ورغم أن الفتّة يمكن وضعها في أي وعاء إلا أن الأنجر هو أشهرها فيقال أنجر فتة، ولدي المصريين وحدة خاصة بالعصير هي الشوبّ ووحدة خاصة باللحمة في الفرن هي الورقة.. وبالنسبة لمخدر الحشيش فيمكن تقسيمه على شكل قروش أو فَرشات على حسب الحجم فيقال قِرش حشيش أو فَرش حشيش! كما أن غير المصريين لا يعرفون دِقيّة البامية والمسقعة، ولا يخطر ببالهم وجود مشوار تقدر مسافته بأنها فركة كعب!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

يا نـهار سلطانـي

استر أخاك إذا ضبطته متلبساً بفعل فاضح، وتأكد أنه سيرد لك الجميل عندما تشرع في إبتزازه لاحقاً!

عندما يطرق الدائنون باب بيتك، فأنت دائماً غير موجود.. هذه ليست نذالة، لكن إنكار للذات!

عبد العاطي يصعد لجبل الأوليمب لعقد إتفاق شراكة مع إله البولوبيف عند الإغريق!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حرام عليك يا ماهر

كنت أجلس في القطار عندما أخرجت التليفون من جيبي لإجراء مكالمة. لاحظت أن الشحنة على وشك النفاذ فأسرعت أطلب الرقم، لكن التليفون فاجأني ورنّ مرتعشاً في يدي معلنا عن مكالمة قادمة.

مساء الفل يا أستاذنا.. لماذا لا ترد على مكالماتي؟. قلت: مَن حضرتك؟. رد في دهشة: وكمان مش عارف صوتي؟.
لا أخفيكم أنني لا أكره في الدنيا قدر مكالمة يلومني صاحبها على أني لا أعرف صوته. قلت في هدوء: لا مش عارف صوتك؟. قال في فرحة لا مبرر لها: أنا ماهر.
قلت: وهل تتصور أن معلوماتي قد زادت بعد أن عرفت أنك ماهر؟
رد مصدوماً: جري إيه يا أستاذ؟.. أنا ماهر الذي تحدثت إليك الشهر الماضي.. ألا تذكرني؟. وعلى الرغم من أنني لم أتعرف عليه قلت: أهلاً يا ماهر.. ممكن تكلمني في وقت آخر لأنني لست في ظرف يسمح لي بمحادثتك الآن.
قال: يبدو يا أستاذ أن ما يقولونه عنك حقيقي؟. قلت منزعجاً: وماذا يقولون عني؟. أجاب: يقولون أنك تغيرت وأن نفسك كبرت ولم تعد كما عهدناك أيام زمان.
في الحقيقة أنني أمقت من يستخدم هذا الأسلوب في الابتزاز حتى يرغمك على احتمال رزالته لتثبت له أنك ما زلت نفس الشخص المتواضع.
قلت مستغرباً: زمان امتي يا ابن الناس؟.. هل تعرفني أم تراك تظنني أحد معارفك؟. قال في عتاب: طبعاً أعرفك.. أولست الأستاذ فلان الذي يكتب في الصحف؟.
قلت في ضيق: ماهر.. أنا خارج مصر الآن ومكالمتك هذه فضلاً عن تكلفتها المالية فإنها تقضي على شحنة الموبايل الذي أحتاجه في أمور مهمة. قال في جرأة: وهل التواصل مع قرائك ليس من الأمور المهمة؟.
جال في خاطري كم أن هذا الشخص محظوظ لأنه لم يعرفني في السابق.. وقت أن كان بإمكاني أن أغلق التليفون في وجهه مشيعاً إياه بباقة مختارة من الشتائم... من حسن حظه أنه طلبني بعد أن هذبتني الأيام وجعلتني التمس الثواب حتى في تحمل مكالمات السخفاء!.
قلت: ماذا تريد يا ماهر.. أنا تحت أمرك. رد متهللاً: أهو كدة.. هذا هو حبيبنا الذي نعرفه.. ثم استطرد: تذكر أنني حدثتك الشهر الماضي بخصوص فكرتك التي نشرتها. قلت له: أي فكرة تقصد؟.

قال: فكرة أن يتبرع كل واحد منا بما لا يحتاجه من أجل الفقراء.
قلت مستغرباً: من الواضح أن هذه الفكرة الطيبة وصلتك من شيخ الجامع أو من القسيس، أما أنا فلم لم أكتب شيئاً كهذا أبداً!
قال ماهر في إصرار: أنا لم أصل إلى سن التخريف بعد ومتأكد يا أستاذ أنني قرأت لك هذه الفكرة وقد أعجبتني جداً، فلماذا تريد أن تحرم نفسك حقها في الثناء؟.

قلت وقد بدأت أتعصب: ماهر.. هل تعلم أنني موجود الآن في قطار يقطع طريق سفر خارج مصر ولا أعرف ماذا تريد بالضبط.
تساءل ماهر في دهشة: قطار خارج مصر؟... أين أنت بالضبط يا عمنا؟.
قلت: أنا مسافر من بروكسل إلى أمستردام.
هتف في جزل: وعدي يا وعدي!.. أنت تتجول في أوربا إذن وتتركنا هنا في الغُلب!.
قلت مختنقاً: يا ماهر يا صديقي.. مكالمتك هذه تكلفني مالاً لأنني أستقبلها «رومنج».
رد بسرعة: إنني أنا الطالب وأنا الذي يتحمل ثمن المكالمة فلا تضحك عليّ!
في هذه اللحظة قررت أن أغلق الخط وأنهي هذه المهزلة.
ويبدو أنه أحس بما انتويته فاندفع قائلاً: وحياة أعز ما عندك لا تقفل السكة في وجهي.
قلت مهزوماً: وآخرتها يا ابن الناس.. قل بسرعة ما تريد.
قال: أريد أن تدلني كيف أتبرع بالأشياء التي استغنيت عنها لصالح الفقراء!.
سألته في ذهول: هل أنت في وعيك يا ماهر؟.
هتف: واللـه العظيم يا سيدي أنا في كامل وعيي وأبغي فعلاً نصيحتك.
قلت استعطفه: يا ماهر يا أخويا.. أنا أريد إجراء مكالمة هامة والشحنة ستفرغ بعد قليل.. ارحمني واقفل.
ردد في لوعة: خصيمك النبي يا شيخ ما تقفل.. أنا عندي كلمتين ولن أطيل عليك.
قلت وأنا أكاد أبكي: ماذا تريد؟.
قال: مثلما قلت لك.. عندي أشياء أريد أن أتبرع بها للفقراء.
لم أستطع منع نفسي من الصراخ: وأنا مال أهلي يا سيد ماهر بما تريد أن تتبرع به؟.
رد: حلمك علينا يا عمنا.. لولا ثقتي بك لما سألتك.
قلت: رحمتك يا رب.. وماذا لديك تريد أن تتبرع به؟. قال: بنطلونين جينز وفانلة مونتجو ضاقت على وكانت متروكة في الدولاب من فترة!.
قلت: وأنت تتصل بي الآن لأدلك على الجهة التي تقدم لها عطاياك؟.
قال: آه واللـه.
قلت: وأين كنت تتصرف في أشياءك الفائضة من قبل؟.
قال: كنت أترك الأشياء تتعفن ولا أعطيها لأحد.
يائساً سألته: وما الذي غيّرك ودفعك للتخلي عن بنطلون الجينز والفانلة المونتجو؟.
قال: بنطلونين يا أستاذ... ثم أردف: أنا كنت أستخسر في السابق أن أعطي أي أحد شيئاً، لكني تغيرت ولم أعد أنانياً، والبركة في مقالك!.
قلت حانقاً: تاني مقالى يا ماهر.. تاني مقالي؟. قال: نعم يا أستاذ.. مقالك هو الشرارة التي انفجرت داخلي وغيرتني!.
هنا وجدتني رغماً عني أصرخ فيه: واللـه العظيم يا ماهر إنت ما عندك دم.
رد مصعوقاً: إيه؟.
قلت له: كما سمعت يا ماهر.

قال في حزن: هي حصِّلتْ يا أستاذ؟.
قلت له: اسمع يا ماهر.. يبدو أنك تحدثني وأنت تضع مؤخرتك على شلتة طرية وتجلس على شط ترعة ساعة العصاري والهوا مهفهف وجلبابك يتطاير في سعادة، وأكيد معك الجوزة وقطعة حشيش مفتخرة، وأردت أن تكمل سرورك بالسخرية مني.
انفعل ماهر للمرة الأولي وأخذ صوته يتهدج وهو يقسم باللـه أنني مخطيء في ظني وإنه إنما يكلمني حقاً من أجل النصيحة.
قلت له نافذ الصبر: ودّيهم الجامع يا أخويا.. ألا تعرف طريقه؟.
قال: لا يا أستاذ.. شيخ الجامع بتاعنا ياكل مال النبي وممكن يأخذهم لنفسه!.
قلت: بلاش الجامع.. اذهب بهم للكنيسة يا سيدي.
قال: يعني أقول لك خايف من الجامع تقول لي روح الكنيسة؟.
قلت له: يا ماهر.. يا ماهر.. وديهم في أي مصيبة.. في أي داهية تشبه أيامك السودا!.
رد في انكسار: كدة برضه يا أستاذ؟.. أيامي السودا؟.
قلت هادراً: نعم يا ماهر أيامك ولياليك وصباحاتك وأماسيك كمان.
قال لي: اللـه يسامحك.
كان هذا آخر ما سمعته منه قبل أن تفرغ الشحنة وينقطع الخط وأقذف بالموبايل من شباك القطار بينما جسمي كله ينتفض من الغضب وأنا أردد في حرقة: اللـه يحرقك يا ماهر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تشليح أفندينا

الزعيم سعد زغلول لم يولد ثورياً، بل إنه قضي ردحاً طويلاً من الزمن محافظاً، وكان متزوجاً من السيدة صفية ابنة مصطفي فهمي باشا، لكنه في لحظة تاريخية معينة قرر أن يستجيب لأماني الشعب وأن يلتحف بأهله وناسه ويرتفع لمستوي أحلامهم فصار أيقونة ثورة 1919.

على أي حال ليس هذا موضوعنا اليوم، وإنما موضوعنا هو ما صار معروفاً عن زعيم الوفد التاريخي من أنه ورغم كل عظمته وحب الجماهير له كان كإنسان لا يخلو من نقاط ضعف مثلنا جميعاً، ونقطة ضعفه كانت القمار.. نعم سعد زغلول كان يقامر وقد خسر كثيراً على الموائد الخضراء.. ومرة أخري ليس موضوعنا هو الضعف الإنساني الذي يعتري البشر جميعاً بصورة أو أخري، وإنما ما أود التفكير فيه بصوت عال هو فكرة أن يجلس شخص أو أشخاص مع الزعيم لمنازلته في جولة بوكر أو طقم كونكان.. إن الرجل كان ذا مهابة ولم يكن شخصية خفيفة أو بسيطة وكان سلطانه على القلوب والمشاعر نافذاً إلى أبعد حد، فكيف كان يجلس الشخص من هؤلاء أمام سعد زغلول ليلعب معه ثم يكسبه ويفوز عليه ويسلبه ماله؟

إننا لا نتحدث عن أمريكا أو بريطانيا حيث الديموقراطية مستقرة والناس سواسية وإنما نتحدث عن مصر التي إن رأت الناس تعبد العِجْل فإنها تحش البرسيم وتطعمه!.. من هم هؤلاء اللاعبين والندماء الذين جعلوا الزعيم يبيع أملاكه ويعود إلى البيت في أيام اللعب متكدراً محسوراً؟

نفس الأمر أفكر فيه فيما يتعلق بالملك فاروق الذي كان يقامر في أوروبا ويقامر في مصر. بالنسبة لأوروبا لا مشكلة، لكن الرجل كان يذهب إلى الأوبرج في الهرم ويلعب مع رجال وسيدات المجتمع ويتعرض للمكسب أحياناً وللخسارة في معظم الأحيان. ومرة أخري من هو صاحب الأعصاب الذي كان يجسر على الفوز على ملك البلاد الذي كان يتغني عبد الوهاب وتتغني أم كلثوم باسمه؟ إن هذا السؤال منطقي جداً لأنني شخصياً عندما كنت أجلس زمان مع بعض زملاء العمل لنلعب طاولة على القهوة كنت ألاحظ أن جميع الزملاء يأتون إلى مدير إدارتنا وينهزمون له، ولم يكن منهم من يتجرأ ويلعب بجدية فيفوز.. ما زلت أذكر أنني كنت الوحيد من الشلة الذي يهزم المدير دون النظر إلى أي اعتبارات، ومن الطبيعي أن الزمن قد أثبت لي حصافة الزملاء الذين حظوا بالعطف والرعاية في حين أنني تعرضت للإضطهاد وخضت معارك ليس هذا أوان روايتها بسبب إصراري على اللعب الجاد والسعي للفوز، وكانت رؤيتي أنه إذا أراد أن يحصل على فوز وهمي فليلاعب أحداً غيري!

ومن المؤكد أن كل من يقرأ هذا الكلام يعلم أن الفوز في الطاولة على المدير هو أمر محفوف بالمخاطر، فكيف باللـه كان السابقون يلاعبون معالى رئيس الوزراء سعد باشا زغلول ويشلّحون معاليه، وكيف كانوا ينازلون صاحب الجلالة ملك مصر والسودان وينفضون جيوبه ويعيدونه للقصر وقفا جلالته يقمّر عيشاً؟

من الواضح أن السبب هو أن فترة ما قبل يوليو 52 على كل عيوبها كانت أكثر إنسانية ورحابة وأبعد عن التوحش والنفاق والرعب الذي ملأ حياتنا وجعل الناس لا تجسر على الفوز على حضرة الباشكاتب في عشرة كوتشينة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

وانت مال أمّك!

من الأشياء التي تصدم المهاجر العربي عندما يصل إلى وطنه الجديد في أوروبا أو أمريكا أن الناس لا تتدخل في شؤون بعضها البعض ولا تقتحم خصوصية الجيران بالجرأة التي اعتاد عليها في بلده!.. في العالم العربي السعيد اعتاد الناس على البساط الأحمدي الذي يعطي للحيزبونات الحق في سؤال فتاة عن سبب تأخر زواجها، وكذلك سؤال امرأة متزوجة عن عدم حملها أو سؤالها عن سبب الاكتفاء بطفل واحد فقط. في الغرب لا يفعلون هذه الأشياء حتى لو كان الفضول يعتريهم لأنهم تربوا على أن اقتحام خصوصيات الناس يعد من قبيل قلة الأدب وسوء السلوك. وفي الحقيقة أن معظم المهاجرين قد تعرضوا لمواجهة الجملة الجميلة السحرية التي توقف الفضوليين عند حدهم وهي جملة: هذا ليس من شأنك. في البداية تصدمهم الجملة لكن مع الوقت يتقبلونها ويفهمون أن صاحبها ليس وقحاً ولا عدوانياً كما تصوروا، لكن الوقاحة إنما صدرت منهم هم عندما سألوا رجلاً لا يعرفونه عن الدين الذي يدين به أو العقيدة التي يعتنقها!. وأتصور أن هذه الجملة الرائعة يمكن أن تكون وسيلة للفرز بين المجتمعات المتحضرة والمجتمعات الهمجية. في المجتمعات المتحضرة يمكنك أن تقول للمدير إذا سألك عما تنوي أن تفعل هذا المساء: هذا ليس شأنك.. تقولها وأنت مطمئن أنه لن يضطهدك حتى لو تضايق، لكن في المجتمعات الهمجية لو أنك رددت على المدير هكذا فلسوف تصير منذ اللحظة عدواً له ولسوف يظلمك ويهينك ويؤذيك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. كذلك في المجتمعات الطبيعية يمكنك إذا سألك رجل البوليس عن وجهتك أن تقول له: هذا الأمر لا يعنيك.. وبصراحة فإن تقبّل رجل البوليس لهذه الإجابة دون أن يحس بالإهانة تعني أنه رجل سليم النفس وأنك تعيش في مكان محترم، لكن إذا تفوهت بهذه الجملة في بلد همجي فإنها ستكون آخر ما ينطق به لسانك لأن رجل الأمن سيضربك وقد يعذبك حتى الموت!

ولأن المصريين مبتكرون دائماً فقد أوجدوا نظيراً محلياً لهذه الجملة هو « وانت مال أمَك» كتعبير عن الضيق بالإقتحام والتدخل في خصوصيات الآخرين، وهي في الحقيقة جملة عظيمة وموحية لكنها لن تردع سوى أصحاب الذوق والأدب فقط، أما الفضوليون المحترفون فسوف يتجاوزوها بعد أن يعدوها من قبيل الود ومن مستلزمات المرح.. هذا فضلاً عن أن الناس لن تجد في نفسها القدرة على استخدامها لدى من يستحقونها أكثر من غيرهم لأن هؤلاء في الغالب سيكونون من ذوي النفوذ والقدرة على الإيذاء، لهذا فإن استعمالها سيظل محدوداً في المجتمع. وللتغلب على هذه المشكلة ظهر اقتراح تقدم به بعض الحانقين بتشكيل جمعيات أهلية يكون شعارها «وانت مال أمك» وهذه الجمعيات تهدف لنشر ثقافة احترام الخصوصية وعدم دس الأنف فيما لا يعني الدساس، وأصحاب هذا الإقتراح يراهنون على الزمن والتراكم في إحداث ثقب يأخذ في الإتساع تدريجياً في جدار البلادة والنطاعة وسوء السلوك. على أي الأحوال هذا اقتراح محمود لكنه مع ذلك خيالى فأين هو الموظف الذي سيعطيك الترخيص بعمل الجمعية بعد أن يسألك عن الهدف من إنشائها فتقول له: وانت مال أمك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

نظرية في الحياة

لي صديق يري أن الإنسان الذي لا يعمل هو الإنسان السعيد وأن اضطرار الإنسان للخروج للعمل هو أحد أسباب تعاسة البشر وخصوصاً لو كان هذا العمل في واحدة من البلدان التي تخاصمها الرحمة ولا تشرق عليها شمس اللـه من فرط ظلم أهلها.

من الواضح أن صديقي هذا مر بتجربة سيئة في العمل جعلته ساخطاً ليس على وظيفته فقط لكن على فكرة العمل ذاتها، ولهذا السبب فلا شيء يضايقه قدر إعلان السادة الذين خرجوا إلى المعاش أنهم يشعرون بالملل ولا يرون لحياتهم معني بدون الشغل الذي اعتادوا عليه.. هو ينظر إلى هؤلاء بحسبانهم نوع رخيص من العبيد الذي اعتاد السخرة والإهانة وتلقي الأوامر من الفاسدين، ويعتقد أن الواحد من هؤلاء لو حَسُن قلبه ونَظُفت سريرته لما شعر بالحنين إلى أيام الذل والهوان، إذ ما الذي تحمله الوظيفة في البلاد التعيسة سوي المسخرة وقلة القيمة؟. ولو أنك سألت صديقي هذا عن أكل العيش وكيف يكون إذا صرنا جميعاً عواطلية فإنه يقول: أنا لا أدعو الجميع إلى نبذ العمل، وإنما دعوتي هذه تخص الأحرار الذين يشعرون بالغربة والصقيع في أماكن العمل مثلما كنت أشعر، أما باقي الأنواع فالذل يليق بهم لأن سعادتهم الحقيقية تكون في الإغضاء والخضوع.. ثم يكمل صديقي: ما أود قوله للأحرار أنه إذا كان ليس من العمل بد لتغطية مصاريف الحياة فالأفضل أن يعمل الإنسان عند نفسه حتى لو جلس على الرصيف يبيع ذرة مشوية. ولا تتوقف تعاليم هذا الرجل عند هذا الحد لكن يبدو أن لديه نظرية مكتملة يبغي من خلالها إلى انتشال الأحرار مما يسميه المستنقع الوظيفي حيث العلاقات بين البشر زائفة والضحكات متكلفة ومغتصبة وحيث الأشياء لا تسمي بأسمائها الحقيقية.. هناك على حد قوله لا يكف الناس عن خوزقة بعضهم بعضاً ونثر قشر الموز في طريق بعضهم البعض والكيد والدس والوقيعة والغيبة والنميمة والإفتراء وسائر الموبقات التي يغوص فيها الناس للفوز بعلاوة أو مأمورية أو ترقية. إن الوظيفة باختصار في عُرف هذا الرجل هي الطريق الأسهل لدخول جهنم في الآخرة من خلال إيذاء عباد اللـه من الزملاء والمتعاملين، والأعجب على حد قوله أن الموظفين يفعلون هذا بينما يواظبون على الصلاة في مواعيدها وكأن اللـه هو المدير الفاسد الذي ينافقونه!

وما الحل يا رجل بالنسبة لمن لا يستطيعون نبذ الوظيفة لأسباب يطول شرحها؟.. هنا يأتي صديقي بحل يراه صيغة وسط لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.. يقول: الحل هو أن تجعل الحكومة الخروج للمعاش في سن الخمسين، لأنه عند هذه السن تكون الحالة الصحية في العادة لا تزال معقولة وبالتالى فإن الفرصة تكون مواتية لمن أراد أن يعوض ما فات وأن يتفرغ للثقافة والمسرح والسينما والحفلات الموسيقية، وكذلك بالنسبة لمن أراد أن يتدين أكثر ويرتاد المساجد أو الكنائس ويذهب للعمرة والحج، ولم ينس صديقي أن يخصص جزءاً من نظريته لمن أراد أن يعيش حياة الرذيلة، فهذا تكون الفرصة أمامه ما زالت ممكنة والأوان لا يكون قد فات، وقد تتحمل معدته الخمر الرخيصة وتتحمل رُكبه ومفاصله تبعات الفسوق بأنواعه!.

هذه نظرية الرجل رأيت أن أعرضها عليكم وأنت أحرار!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الأقساط يا سادة!

الإنزلاق الغضروفي وتآكل فقرات العنق هي جزء من الآثار الجانبية لمهنة الكتابة، وليس هناك في حدود علمي من يمكنه أن يجلس الجلسة المثالية التي يشير إليها الأطباء ويوصون بها، فهي جلسة نظرية درسوها في الكتب لكنها عملياً غير ممكنة وإلا أصيب من يتمسك بها بتيبس الرقبة وفقدان المرونة. المهم أن الآلام عندما اشتدت وبدأت الذراع اليسري تضعف مع تنميل دائم بالأصابع وكف اليد فإنني توجهت إلى طبيب وإثنين وثلاثة ثم توقفت بعد الطبيب الخامس. ثلاثة منهم أساتذة مخ وأعصاب وإثنان أساتذة عظام. يؤسفني ويحز في نفسي أن أقول إنني لم أشعر بالثقة في أي منهم.. الأول نظر في صور الأشعة والرنين المغناطيسي ثم قام بالتصفير بفمه دلالة على الإنزعاج وقال لا بد من إجراء الجراحة فوراً، وقد ذكرتني طريقته بعبد السلام النابلسي حين قال للمرأة: انتي ما تستنّيش لبكرة! وقد أخبرني سيادته أن من حُسن حظي وجود خبير أجنبي لديهم سيشرف على العملية.. عرفت بعد ذلك أنهم يأتون بالخبير الأجنبي من أجل استدراج الزبائن وأن الطبيب المصري هو الذي يقوم بالجراحة بعد مضاعفة التكاليف لوجود الخبير في الأنحاء!. الطبيب الثاني كان أكثر حصافة فقد أكد أن العملية ليست أول الحلول ولكن في البداية نأخذ كورس دواء.. ومن الطبيعي أنه عند الإستشارة قال بأسف: لقد جربنا العلاج والآن لا مفر من العملية!. الثالث والرابع والخامس كانوا تنويعات على الأول والثاني. لم تكن المشكلة هي خوفي من الجراحة، لكنها كانت في عدم ثقتي في أن الجراحة واجبة ولا بديل عنها.. وزاد الطين بلة إدراكي أن عدداً من كبار الأطباء عليهم أقساط تضغط على أعصابهم.. بعضهم عليه أقساط فيللا مارينا وبعضهم عليه أقساط شاليه العين السخنة ومنهم من لم يسدد ثمن المرسيدس كاملاً ومنهم من يفكر في نقل العيادة للتجمع الخامس بجوار الفيللا الجديدة. وجود هذه الأقساط جعلني متعاطفاً مع كبار الأطباء وراغباً في إيجاد حلول سريعة لأزماتهم لكن بعيداً عن فقرات عنقي.. نعم، باللـه عليكم جدوا حلولاً لأقساطكم بعيداً عن غضاريفي، فليس عندي غيرها وهي من أهم أدواتي لأكل العيش!

شددت الرحال إلى بلاد برة لأستمع إلى آراء أطباء ليسوا بالضرورة خير من الطبيب المصري لكنهم يختلفون عنه في عدم وجود أقساط ضاغطة على العصب تحدد لهم المسار العلاجي للمريض! وهناك للمرة الأولي أستمع إلى رأي طبي يقول: لا أري ضرورة الآن لإجراء الجراحة.. نعم الصور توضح الإنزلاق الغضروفي لكن طالما أن الذراع ما زال محتفظاً بقدر معقول من العزم وطالما أن الألم ليس فظيعاً فإنه من غير الحكيم أن نتسرع بإجراء العملية لأن الجراحة قد تدخلنا في تعقيدات ما زلنا في غني عنها.. يا سبحان اللـه، كان هذا هو رأي الخواجة الأول. الخواجة الثاني لم يخرج رأيه عن سابقه لكنه أضاف أهمية أن نحصل على جلسات علاج طبيعي يكون من شأنها تقوية العضلات الحاملة للموضوع كله وبعدها يكون الشعور بالتحسن ملموساً. لماذا يا تري لم يتطرق طبيب مصري من الخمسة العظام لموضوع العلاج الطبيعي هذا.. ولماذا بدوا وكأنما يريدون حملي عنوة لغرفة الجراحة؟ الإجابة: الأقساط يا سادة.. الأقساط!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أستاذنا الفاشل!

زمان أيام الدراسة بكلية الإعلام استقدموا لطلبة قسم الإذاعة والتليفزيون أستاذاً من معهد السينما ليدرس لنا مادة السيناريو. لم يكن الأستاذ يحاضر فقط لكن كانت له على ما سمعنا أعمال فنية قام فيها بالتأليف والإخراج. كان الرجل مقتدراً في مادته، تشعر وأنت تستمع إليه أنه معجزة بشرية، شاهد واستوعب وهضم معظم الأفلام العالمية والمحلية، ولديه قدرة على تذكر أسماء كتاب السيناريو والمخرجين لمعظم الأفلام. أعجبتنا طريقته المحببة في الشرح وكنا ننتظر موعد محاضرته بفارغ الصبر. لم يكن يكتفي بتدريسنا فن كتابة السيناريو فقط، لكن كان يعرج على باقي الفنون السينمائية ويثري معارفنا بما لديه من خبرة بالتصوير والإخراج والمونتاج.. حتى الإنتاج كان يحدثنا عنه رغم كونه خارج تخصصه. ولم يكن الأستاذ يكتفي بالشرح النظري والمعلومات المعبأة، لكن كان يفرض علينا تحليل بعض الأفلام بدراسة السيناريو الخاص بها، وكذا كان يقدم نقداً تشريحياً لأحد المسلسلات الذي كان يذاع في تلك الفترة ويطلب من كل واحد منا أن يعيد كتابة أحد المشاهد بطريقة جديدة تختلف عما شاهدناه على الشاشة. هذا وقد شجعت دماثة خلق الرجل وحلو معشره الكثير من زملائنا الطلبة على التهور بعرض نماذج لتجاربهم في كتابة السيناريو، وكان يعرضها لنا في إعجاب ويوضح ما بها من هنّات وأخطاء دون أن يجرح صاحبها.

الخلاصة.. كان هذا الرجل أعجوبة سينمائية، عشنا في ظله أوقاتاً جميلة استمتعنا فيها بكل لحظة من محاضراته التي كانت تمر بسرعة. وقد كان من حظنا في النصف الثاني من العام الدراسي وبعد أن تعلقنا به أنّ التليفزيون أعلن عن إذاعة مسلسل من تأليف وإخراج أستاذنا الكبير، وقد كان كما أخبرنا مُقلاً في أعماله الفنية بسبب أن التدريس استحوذ على الجانب الأكبر من وقته. في ذلك الوقت لم أكن قد شاهدت للأستاذ أي أعمال من قبل، وكان المسلسل المزمع تقديمه هو حديث الطلبة في قسمنا وقد انتظرناه جميعاً بشوق. كنا كمن يتطلع لسماع آخر قصيدة لشاعره المفضل، أو ينتظر الرواية الجديدة لكاتبه الأثير. وبدأ عرض المسلسل.. حلقة والثانية والثالثة.. لم نصدق ما نري.. المسلسل ضعيف البناء ومتهريء والشخصيات باهتة لا تعرف لها ملامح، والإيقاع مترهل وغير متماسك، وتوجيه المخرج للممثلين غير موجود حتى أن كل منهم في واد.. كذلك التصوير والمونتاج والقَطْع مليء بالأخطاء التي كان هو نفسه كثيراً ما يحذرنا منها. كان المسلسل بأكمله عبارة عن فضيحة فنية لدرجة أن أبطاله تنصلوا منه ونشرت الصحف عن الخلافات التي كانت بينهم وبين بعضهم البعض وبينهم وبين المخرج ومدير التصوير، وقد اعتبر كل منهم أن هذا العمل سقطة فنية وعد بعدم تكرارها!. في ذلك الوقت كان الذهول مستولياً علينا تماماً، لم نستوعب كيف يكون أستاذنا القدير وراء هذا العمل الرديء الذي تجرأ على هلهلته كل النقاد والصحفيين. كنا صغاراً لا ندرك أنه من الممكن أن يكون المرء محاضراً عظيماً وفناناً فاشلاً في الوقت نفسه، ولا كنا نستوعب أن من يعلمنا كيف نكتب السيناريو غير موهوب في كتابة السيناريو.. التدريس شيء والموهبة الفنية شيء آخر تماماً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أحلام الفتي الشبعان

كنت أتناول الطعام بأحد المطاعم، وعند خروجي كان يخرج في الوقت نفسه شابان فرغا لتوهما من الأكل ورأيتهما على الرصيف يتحدثان بسعادة عن الطعام وجماله والسلاطات وروعتها في هذا المطعم، وأبصرت أحدهما يتحسس بطنه الممتليء في راحة قبل أن يقول بملء الفم: الآن وبعد هذه الأكلة الرائعة عندي استعداد أن أضرب الشارع كله!

ضحك صديقه وضحكتُ أنا أيضاً على هذا التعليق الذي يعني أن الوجبة التي تناولها كانت من الدسامة والإتقان بحيث أنها أمدته بطاقة جبارة قد تسمح له إذا أراد أن يضرب كل الناس السائرين بالشارع. نظرت إلى السائرين في الشارع الهاديء فرأيت امرأة وطفليها ورأيت رجلاً طاعناً في السن يتهادي على الرصيف، وأبصرت فتاة تهم بفتح سيارتها، كما كان هناك شحاذاً يتظاهر بكنس الشارع، غير بعض الرجال الذين بدا من هيئتهم أنهم موظفون بالحكومة.. هؤلاء باختصار هم المرشحون ليتلقوا ضربات الأخ الذي أكل وبشم ثم أصبح جاهزاً لإفراغ طاقته فيهم. أعرف طبعاً أن الفتي لا يقصد سوءاً ولا ينوي أن يضرب أي أحد، لكن القافية عنده حكمت بذلك. لكن لماذا يا تري كان هذا المثال هو الذي جاء بباله عندما أراد التعبير عن سعادته بالطعام وإحساسه بالشبع والفتوة؟ لماذا لم يرد على خاطره مثلاً أن يؤدب المجرم الذي استبدل أوراق ابنتنا الرقيقة مريم لصالح ابن أحد الضباع الضارية بعلم وتواطؤ منظومة المسعورين؟ لماذا لم يفكر في أن يضرب الصهاينة الذين يقتحمون الأقصي كل يوم وينتهكونه، وكيف استبعد فكرة الدفاع عن اللاجئين الذين تغرق بهم المراكب كل يوم هرباً من الحكام العرب؟.. لماذا لم يفكر في إنصاف أي مظلوم بالقوة الطارئة التي حازها، ولماذا لم يرد بباله حتى أن يعبر عن اعتزامه ممارسة بعض الرياضة التي تمتص طاقته وتستوعب إحساسه بالتفوق؟.. هل يا تري بسبب أن البلطجة صارت من معالم الحياة في البلد وأصبح لها بريق يجعل الشباب يتطلعون إلى النجومية والفخر من خلالها؟ هل بسبب غياب القانون واضطرار الناس إلى الاعتماد على أنفسهم في اقتضاء الحقوق؟ وهل لبرامج التوك شو الليلية دخل في هذا وهي التي تستضيف شبيحة ومجرمين لا يتورعون عن شتم الناس على الهواء وسب آباءهم وأمهاتهم.. هل لها دخل في أن يحلم الشاب بعد لقمة حلوة بأن يضرب الناس الطيبين السائرين في الشارع وليس من بينهم من آذاه أو أساء إليه؟. هل يحمل هذا المثال دليلاً على العدوانية التي تفشت في النفوس أم تراني أبالغ وأحمّل الأمور أكثر مما تستحق؟. إن الشاب الذي فعل هذا قد يصاب بصدمة إذا ما قرأ هذا الكلام لأنه بكل تأكيد لم يفكر في أي شيء مما أتحدث عنه.. سيقول إنها مجرد مزحة مع صديق لم يكن من المفروض أن أسمعها، ولو سمعتها بالصدفة ما كان يجب أن يشطح بي الخيال إلى هذه الافتراضات!

حقاً ما الذي يجعل شخصاً مثلي يفلسف المسائل ويذهب بعيداً في تحليل الأمر بعد أن ارتدي روب «فرويد» وشبشبه وتقمص دور المحلل النفسي وأستاذ الإجتماع؟ ليس عندي رد سوي أن هذا الشاب ينبغي في المرة القادمة أن ينتقي مثالاً آخر للتعبير عن القوة، أو أن يختار التمسك بمثاله اللطيف لكن بعد أن يتأكد من أنني لا أسمعه!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

النـفايات

ظرف الزمان أخطر بكثير من ظرف المكان.. وكل الذين ظرفهم الزمان يعرفون هذه الحقيقة!
أنْ تأتي متأخراً خيرٌ من أن يقولوا: يا ترى مين ابن الجزمة اللي بيخبّط ع الصبح ده؟
أترى عبد العاطي كان يدق كفتة ببرغل حين صُرعت هنادي في ذلك الفضاء العريض؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شاهد زور مهاود

منذ متي صارت الحياة بهذه القسوة؟ شاهد الزور الواقف أمام محكمة زنانيري والذي كان يمكن الحصول عليه بعشرة حنيهات تبجّح وأصبح يطالب بخمسمائة جنيه! من أين يأتي المتقاضون الغلابة بما يسد أفواه الشهود الجاهزون على الرصيف لخراب بيت أي أحد يشهدون ضده؟. في الحقيقة هناك وجهتي نظر تختصان بشرح موقف كلا من شاهد الزور والزبون. الزبون يريد شاهد الزور القديم الذي يقبل بسندوتش وكوب شاي وسيجارتين، وشاهد الزور يريد الزبون ذا اليد الفرطة الذي يدفع بسخاء ويكف عن الشكوي من غدر الزمان فكلنا في الهوا سوا. لقد كانت الحياة في السابق أكثر بساطة وكان الشاهد من هؤلاء لا يعمل كل أيام الأسبوع، لكن يكتفي بثلاثة أيام موزعة على المحاكم المختلفة وفي أيام الإجازة يصطحب أسرته إلى القناطر الخيرية حيث يشعل قطعة حشيش على الجوزة في أحضان الخضرة على النيل والأولاد حوله، أو يجلس على القهوة مع أصدقائه الأوساخ يتبادلون حكي الآثام التي ارتكبوها خلال العمل ويسخرون من الزوج الذي شهد أحدهم بأنه شاهده يضرب زوجته أكثر من مرة، أو يتندرون على الزوجة التي مرغوا شرفها في التراب بادعاء رؤيتها تصعد إلى شقة الشاب العازب في المنزل المجاور. لقد فسد الزمان وضاقت المعايش وليس بوسع أحد أن يلوم شهود الزور إذا ما رفعوا الفيزيتة.. لقد رفع الجميع الأسعار، الطبيب والمحامي والجزار والبقال والحكومة.. فلماذا يظل الشاهد على تسعيرة زمان ولماذا تظل النظرة إليه متدنية؟. إن الزبون من هؤلاء يطلبه فيأتي به المحامي المجرم ويلقنه ما يقول ثم يعيد ويزيد في التلقين حتى لا يُفتضح أمره أمام القاضي، وفي هذه الأثناء لا يكف الزبون عن النظر إليه باحتقار.. إنه يخدمهم ويشهد لصالحهم ويحتقرونه!. واللـه إنك لو ساعدت كلباً لحفظ لك الجميل، أما هؤلاء المتقاضون الأبالسة فإنهم يدفعون للمحامي ما يطلب ثم يأتون إلى شاهد النفي أو الإثبات المأجور ويبخسونه حقه ويفاصلون في أجرته، ثم يدفعونها وهم يوشكون أن يدعوا عليه. لا ينسي أحد الشهود أن زبوناً قد نقده أجرته ذات يوم وهو يقول له: بالسم الهاري.. يومها صعد الدم إلى نافوخه فضرب الزبون وكادت تحدث فضيحة لكليهما فتصالحا والقلوب تغلي. ألا يمكن أن تقوم نقابة ترعي أحوال هؤلاء وتضمن لهم الحصول على الأجرة كاملة خاصة وبعض الزبائن يدفعون النصف ثم يهربون بعد الشهادة؟. إن مأساوية موقف شهود الزور تكمن في أنهم يرتزقون كلما زادت المظالم في الحياة، وفي الوقت نفسه فإن زيادة المظالم تؤذيهم لأنها تدفع بأعداد كبيرة إلى مزاحمتهم في عملهم! فالعمال الذين تشردوا بعد إغلاق المصانع أصبحوا يأتون منذ الصباح للفوز بأي زبون، وسائقو التاكسي المحجوز عليهم إنضموا إلى طالبي العمل على باب المحكمة ومثلهم الكثير من المطلقات والأرامل الفقراء، هذا غير النازحين من الريف وليس لديهم ما يفعلونه سوي تكدير الحياة ومزاحمة الشهود، وأسوأ ما في هؤلاء الريفيين أنهم يورطون الزبون كما يدينون أنفسهم وقد ينتهي الأمر بهم وبزبونهم إلى السجن!

العجيب أن الناس لم تعد تحلم بالعدل، لكن بوجود شاهد زور حرّيف ومهاود!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

إنسان خسيس

للفنان القدير الراحل محمد توفيق مقولة لا أنساها في فيلم عفاريت الأسفلت قالها لمن حذّره من أضرار التدخين.. قال: الرجل الذي يحافظ على صحته هو إنسان خسيس!

كلما تأملت هذه الجملة وجدتها على غرابتها تحمل قدراً من الحكمة لا يجوز الاستهانة به. صحيح أن التدخين ضار جداً بالصحة كما هو مكتوب على علب السجائر، وصحيح أنني أقلعت عن التدخين بعد أن دخنت لثلاثين عاماً منذ كنت تلميذاً وحتى حاصرتني الأزمات التنفسية، إلا أن فكرة تعقيم الإنسان بإبعاده عن التدخين الذي يدمر الرئتين وإبعاده عن الطعام الدسم الذي يسد الشرايين وتحذيره من الخروج في البرد بملابس خفيفة ومن نزول البحر والموج عال ومن شراء أوراق اللوتاريا ومن مصادقة البنات ومن السهر خارج البيت والسهر داخل البيت ومن مصاحبة رفقاء السوء الذين لا يذاكرون كثيراً ويلعبون معظم الوقت.. هذه الفكرة ربما ينتج عنها مواطن تقبله الكليات العسكرية وكلية التربية الرياضية.. لكن هل هذه هي كل الحياة؟ في اعتقادي أن الحياة أوسع وأعرض من مجرد الحفاظ المَرَضي على الصحة!.. أنا بطبيعة الحال أعلم أن الإنسان يحتاج لأن يكون سليماً حتى يستمتع بالحياة، لكن هل الحياة التي ليس بها سوي شرب اللبن وأكل الخس والجزر والنوم المبكر هي أفضل الموجود؟. لقد كنت تلميذاً مدخناً، لكني لم أرسب وأفشل وأضيع كما تنبّأ أهلي، وقد صادقت جميع من اصطُلح على تسميتهم برفقاء السوء وخرجت من معرفتهم بزاد وافر من خبرة الحياة فضلاً عن متعة مجالسة خفاف الظل الذين تتفجر الكوميديا من بين أيديهم. إنني لا أستطيع أن أنسي أن أتعس سنة في حياتي كانت العام الدراسي الذي أجلسوني فيه في فصل المتفوقين حيث العيال المتخشبة التي لا تفهم النكتة ولا تجيد غير المذاكرة والحفظ خشية أن يفقدوا ما يميزهم وهو الشطارة والتفوق الدراسي التي كفلت لهم على الدوام رضا المدرسين والآباء.. هؤلاء لم يجربوا متعة إغضاب المدرس واستفزازه لدرجة استخدام العصا ضد تلميذ نجح في إحراجه علمياً ووجّه له أسئلة عجز عن إجابتها لأنها غير موجودة في الإجابات النموذجية التي لا يعرفون سواها. ليس معني هذا أنني أشجع على التدخين أو أدعوا إلى الانحراف.. كل ما في الأمر أنني أود أن ألفت النظر إلى أبعاد أخري في الصورة لا يراها الناس لفرط رعبهم من الحياة!. لقد عرفت زميلاً كان يرفض بشدة أن يجلس معنا على القهوة ونحن تلاميذ حتى لا تفوته المذاكرة، وكان لا يأتي معنا للسينما لأن بها أفلاماً للكبار فقط حذره منها أباه، وكان يخاف من وضع شطة على الكشري لأن أمه حذرته من الطعام الحراق، ولم يكن يفوّت أي فرصة لممارسة الرياضية وتكوين عضلات.. هذا الزميل مات قبل أن يبلغ العشرين مريضاً بالسرطان. لقد كان أسوأ ما يمكن أن يحدث لزميلي هذا لو أنه دخّن في السنوات الخمس الأخيرة من عمره هو أن يصاب بالسرطان!

لست أدعو الناس للرذيلة ولا أحرضهم على العصيان لكني أدعوهم لتأمل حكمة الحياة التي لا تمنح السعادة بالضرورة لمن يسير على الكتالوج، بينما قد تكون سخية مع مغامر رفض أن يكون شخصاً خسيساً!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ابن المرة

على أحد مقاهي وسط البلد جلس على مقربة مني مجموعة من طلبة الثانوي. انهمك الشباب الصغير في لعب الطاولة وتدخين الشيشة محدثين ضجيجاً لا حدود له. وسط هذه الحالة الصاخبة سمعت أحدهم يشتم زميله قائلاً: يا ابن المرة.

لم تكن المرة الأولي التي استمع فيها إلى من يستخدم هذا التعبير باعتباره سباباً جارحاً، إذ أنني أسمعه طوال عمري في الشارع المصري.. مع العلم بأن هذه الشتمة لا وجود لها بأي بلد عربي حيث أن المرأة لديهم يقال لها مَرَة دون أن يكون للفظ أي وقع سيء، وذلك على العكس مما هو الحال في مصر بعدما تحرفت كلمة امرأة لتصبح في طبعتها الجديدة «مرة» كلمة نابية لا تُستخدم إلا في خناقات الحواري. سرحت في تأمل غرابة أن يُشتم المرء بأن يقال له أن من أنجبته امرأة!.. أوَليس من الطبيعي أننا جميعاً قد خرجنا للعالم من رحم النساء، فما الجديد في أن يكون الشخص ابن امرأة، ومن الذي ابتدع فكرة أن تذكير المرء بهذه الحقيقة الكونية يعد إهانة؟. الحقيقة أن المجتمعات كلها بشرقيّها وغربيّها لا يحلو لها أن تسب بعضها بعضاً إلا بإدخال المرأة في الموضوع وبالذات الأم، ومن يتأمل الشتائم الغربية كما نراها في الأفلام يجدها متصلة إتصالاً وثيقاً بالمرأة وأعضائها، وأما هنا في بلاد العرب فقد أبدع القوم وأدخلوا الأخت في الموضوع علاوة على الأم ليجعلوا الإهانة أكثر إيلاماً. ولعل حساسية الناس في بلادنا لشتائم من هذا النوع على نحو يفوق حساسية الغربيين لنفس الأمر تعود إلى أننا اختزلنا الشرف في أعضاء النساء ولم نعد نري ما يجرح الرجولة والكبرياء أكثر من أن تُمس إناث العائلة أو الحارة أو القبيلة.. الناس هنا على العكس من الناس في بلاد الغرب لا تري الكذب ماساً بالشرف ولا تنظر للرشوة على أنها جريمة تُفقد المرء الاعتبار بين أهله، وطبعاً تتعامل مع التهرب من دفع الضرائب باعتباره قمة الفهلوة والجدعنة، وقد يقوم المرء هنا بالتهرب من التجنيد وبالشهادة الزور وأكل مال اليتيم دون أن تواجهه نظرات الاحتقار في الشارع، لكن لو أن أخته شوهدت بصحبة ابن الجيران فإن مصيبة تكون قد لحقت به فيمشي مجللاً بالعار، وقد يجد نفسه مضطراً لإراقة دماء أحب الناس إليه حتى يستطيع أن يرفع رأسه وسط الأوساخ المرتشين من أقاربه وجيرانه!.. ولعل تفضيل الناس خلفة الذكور على الإناث عائد إلى الخوف من الفضيحة التي تسير - بتصورهم - في ركاب البنات أينما ساروا، أما الذكور فمهما فسقوا وسرقوا وخانوا فإن ما يفعلونه لن يكون جالباً للعار!. وقد يكون التمسك بالشرف الزائف في مجتمعاتنا المستبدة عائداً إلى تشجيع الحكام للناس على الأخلاق الفالصو التي تبعدهم عن التفكير في الحقوق المهدرة والأموال المنهوبة، ولأن بروز القيم الرفيعة كقيمة احترام العمل والوفاء بالوعد وحرمة المال العام قد تكون جالبة لقلاقل لا تريدها السلطة!

المهم أنني بعد أن استمعت لنفس السباب يتكرر على لسان الفتي قلت له: يا بني.. أوليست أمك أنت أيضاً امرأة؟ فقال: يا عمو.. عندما قلت له يا ابن المرة فإنني كنت أقصد والده لا والدته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أقرع ونـزَهـي

كنت مدعواً لعرس في واحد من فنادق الخمس نجوم عندما تناهي إلى سمعي حديث نسائي.. كانت تقف خلفي في الطابور المزدحم بعد فتح بوفيه العشاء امرأتان تلوكان سيرة العريس والعروس وتبديان الملاحظات الفارغة التي تليق بحيزبونتين ممن درجنا على تسميتهن «عجائز الفرح». لفت نظري من ضمن انتقاداتهما للعرس أنْ أبدت إحداهما دهشتها من حالة الفرحة التي كان عليها العريس حتى أنه لم يكّف عن الرقص منذ أن دخل إلى القاعة وفي يده عروسه. ظننت لوهلة أنها تعترض على مبدأ الرقص من منظور محافظ، لكنها فاجأتني عندما قالت لرفيقتها: حاجة غريبة.. العريس أقرع وبيرقص!.

التفت خلفي أنظر إليهما فشعرتا بالخجل ومضتا مبتعدتين.

بعد أن عدت إلى القاعة نظرتُ للعريس متفحصاً فوجدته شاباً بهي الطلعة وقد زادته الفرحة ألقاً، وبدا لي أنه يعيش لحظات سعيدة، وكذلك بدت عروسه في ثوبها الأبيض الأنيق. صحيح أنه كان أصلع الرأس لكن ملامحه المتناسقة جعلت وسامته لا تخطئها عين.. فما الذي جعل المرأة تستكثر عليه التعبير عن الفرحة لمجرد أن الصلع زحف إلى رأسه مبكراً؟.. أنا أعلم بطبيعة الحال المثل القائل «أقرع ونزهي» الذي أطلقه العامة على الشخص السفيه الذي لا يعرف حدود مقدرته فتراه ينفق ببذخ وهو مفلس، ومن الممكن أن يكون مقتراً على أهل بيته بينما ينفق في الأشياء غير الضرورية.. وهذا المثل ينطبق أيضاً على العجوز المتصابي الذي يرتدي ملابس الشباب المزركشة بينما لا تقوي ركبتاه على حمله. وربما أن هذا المثل يدخل ضمن الأمثال الفجة التي تخلو من الكياسة في التعبير رغم قدرتها على الإضحاك، ولدينا من هذا النوع زاد وافر يغطي كل أحوال الحياة، لكن هذه الأمثال على أي حال لا تصمد للتحليل المنطقي، إذ ما الذي يمنع الأصلع من أن يفعل ما يفعله أصحاب الشعر الكثيف؟ ولماذا يقدمون الأعذار لصاحب الشعر إذا ما ارتكب حماقة بينما يأتي تسامحهم عند الأصلع ويتوقف؟ هل يظنون أن من طار شعر رأسه لا بد أن يتلبس دور الشخص الوقور وأن يعيش عُمراً لم يصل إليه بعد فيتصرف تصرفات الآباء المخضرمين الذين يتسمون بالهيبة والوقار وأن يتواري عن الأعين إذا أراد أن يستجيب لمشاعره ويفعل ما يسعده.. هل يريدون كل هذا من شخص صغير له مشاعر شابة وقلب غض ولم يدخل دنيا بعد!. إني أري هذا المثل تعبير عن عدوانية صارخة ونظرة جاهلة يشوبها التعصب.. فإذا كانت الأديان قد نهت عن أن يسخر قوم من قوم، وكذلك الدساتير نصت على تجريم التمييز بسبب الدين والجنس والعرق واللون فإن شكل الرأس مفترَض بالتأكيد ضمن منظومة حقوق الإنسان! ولئن قال البعض إن الشخص الأصلع هو الذي يغريهم بالسخرية عندما يخجل من شكله ويسارع إلى محاولة استجلاب أدوية لإنبات الشعر أو القيام بعملية زرع شعر أو في القليل يقوم بوضع باروكة، فإن هذا ليس مبرراً لإطلاق قوي التهكم الشرير على خلق اللـه، ذلك أن صاحبنا ما كان له أن يفكر في الحصول على شعر لولا معرفته بأن الذوق الشعبي يعلى من قيمة الشعر ويطلق ألسنة العامة للنيل من أصحاب الرؤوس الصلعاء فيستكثر عليهم الفرح.

على أي الأحوال فإن هذا المثل أرحم من المثل الآخر المشابه له في المعني والذي يقول: عريان «التيت» يتأمز تأميز ويقول باب الخمارة منين!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

كوب الشوربة السحري

كانت جدتي رحمها اللـه ذات خيال خصب وقدرة على تأليف ورواية الحكايات بشكل يفوق مؤلفي الدراما، وكنت كلما طلبت منها أن تحكي لي حدوتة أخذتني في رحلة خيالية مع قصص مليئة بالغيلان والعفاريت والجان والأبالسة والمردة والشياطين. وهي حكايات عرفت فيما بعد أنها في غالبيتها مستقاة من ألف ليلة وليلة، ذلك النبع الذي لا ينضب من الإثارة والتشويق والتسلية. غير أنها في كل مرة كانت تعرج في وسط الحدوتة على سيرة الملك فاروق الذي يبدو أنها كانت مفتونة بسيرته ويبدو أنها سمعت عنه حكايات أسطورية كان يرددها العامة بثقة ويؤمنون بها إيماناً مطلقاً. ورغم أننا كنا وقتها في عهد مختلف بعد مرور سنين على زوال الملكية إلا أن أساطير فاروق كانت تصاحبها على الدوام. ومن جانبي كنت لا أمانع أبداً في قطع الحدوتة والدخول في سيرة الملك فاروق الذي كان ـ طبقاً لجدتي ـ يمتلك قوة جسمانية خارقة ليس لبشر مثلها، وسبب وصوله لهذا المستوي من الصحة والعنفوان هو أن الطهاة بالقصر الملكي كانوا يقومون كل صباح بذبح مائة زوج من الحمام ووضعهم في قدر كبير حيث يتم سلقهم وغليهم، إلى أن تسفر خلاصة المائتي فردة من الحمام عن كوب متوسط من الشراب الكثيف يتم تقديمه لجلالة الملك وهو في الفراش، فيشربه بتمهل قبل أن يزيح الغطاء ويقوم يتمشي في القصر وقد صارت له قوة الوحوش الضواري!. قالت جدتي أيضاً إن فاروق لم يكن يطرق الأبواب ولا حتى يفتحها من مقابضها وإنما كان يركل أي باب يريد عبوره فينفسخ الباب على الفور ويخر تحت قدميه.. ولهذا فإن نجار القصر كان يسير خلف الملك أينما سار!.

كنت أصدق هذه القصص وأتمني لو كان باستطاعتي أنا أيضاً أن أحصل على «غِيّة» حمام كل صباح وأشرب كوب الشوربة السحري فأصير في قوة سوبرمان سوبرمان. ورغم أنني عرفت لما كبرت أن قصة الحمام المغلي الخاصة بالملك فاروق لم تكن حقيقية، لكن خيال العامة لم يجد لتفسير السمنة وزيادة الوزن التي ميزت فاروق منذ منتصف الأربعينيات إلا حكايات عن الأسمطة والموائد العامرة التي كانت تُمد للرجل أينما حل، ومن الطبيعي أن أحداً لم يشرح للناس البسطاء أن ملكهم الشاب كان يعاني الإكتئاب والوحدة بعد أن سقط في براثن شلة إيطالية من القوادين كان يسهر معهم كل ليلة في الملاهي وبين موائد القمار.. لم يعرف الناس الطيبون أيضاً أن جلالته كان يشعر بالعار من الست والدته التي اتخذت من أحمد حسنين رئيس الديوان عشيقاً علنياً، وبعد وفاته في حادث سيارة أخذت ابنتيها الأميرة فايقة والأميرة فتحية ورحلت إلى بلاد برة حيث تعرفت على شاب مسيحي اسمه رياض غالى كان يعمل أميناً للمحفوظات بالقنصلية المصرية في مرسيليا فوقعت في حبه هي وابنتها فتحية في نفس الوقت، وأسبغت رعايتها عليه ثم زوجته ابنتها ضد رغبة فاروق الذي كانت الفضائح تصل إليه فيزداد اكتئاباً ويدفن همه في الطعام، فيزداد وزنه ويعتقد الناس أن سمنته دليل صحة وعنفوان، ويُرجعون الفضل إلى كوب شوربة الحمام السحري!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

تدويـر النفايات

البداية تأتي كل ليلة من خلال التليفون الذي يتلقاه الإعلامي الفالصو، والمكالمة تحدد له الموضوعات والمَحاور وتختار له الضيوف المحبب استضافتهم للتعليق على الموضوع. بعد ذلك يأخذ حضرة المذيع في إطلاق وابل من كلامه الفارغ عبر الشاشة فيصيب المشاهدين في أعز ما يملكون (بقايا عقل).. والمشاهدون البسطاء معذورون، فجانب منهم حسن النية ولا يتخيل أن التليفزيون يمكن أن يكون مصدراً للهراء، وجانب آخر لم ينل القدر الكافي من التربية أو التعليم بالضبط مثل حبيبهم صاحب المصطبة.

المهم أن الأخ الإعلامي يظل يحزق طوال الحلقة وتخرج منه الجمل ركيكة، غير مترابطة، معبرة عن سوء حالته الذهنية والفكرية.. فهل تنتهي القصة عند هذا الحد؟.. لا.. تكملة القصة أن أهم ما قاله الإعلامي من تصريحات شائهة في حلقته التعيسة يتحول إلى مانشتات تنشرها الصحف في طبعاتها الورقية والإلكترونية على السواء، أى أنه لا يُكتفي بالوجبة الليلية المسمومة التي طفّحوها للمشاهد ولكن تعيد الصحف على الناس تصريحات وأقاويل ليس لها أي أهمية باعتبارها أخباراً طازجة وقد ينشرونها مسبوقة بكلمة «عاجل» أو ورد تواً!.. وهذا بطبيعة الحال من شأنه أن يضع خطوطاً غليظة تحت الكلام الفارغ الذي قذف به مذيع الغبرة تؤكد على أهميته وعلى ضرورة تصديقه وترديده في المجالس باعتباره يتضمن الخبر والحكمة والنكتة والرسالة الخفية!.. كل هذا برغم أن المذيع البائس لم يكن يقصد أي شيء سوي تنفيذ التعليمات من خلال قدراته المتواضعة على التوصيل آملاً أن ينال رضا أصحاب الدكان.

وهنا يثور سؤال: ألا يمكن أن تتم الاستعانة بأشخاص متعلمين لديهم استعداد للقيام بنفس الدور ولكن بكفاءة أكبر؟ أشخاص يمكنهم ترديد كلام يبدو موزوناً ولا يفهم خواءه إلا الخبراء. لماذا يصرون على الاستعانة بجهلاء، مع أن المتعلمين يضمّون بين صفوفهم أنذالاً يتمنون ربع فرصة من المُتاح للكواحيل؟. أعتقد أن الإجابة تكمن في أن الجاهل مضمون ولاؤه أكثر، ذلك أنه لا فرصة لديه في أي عصر آخر، على العكس من المتعلم الواطي الذي قد يتواءم مع أي أنظمة وأية ظروف!.

نعود لتكملة المسلسل، إذ أن نشر التصريح الخطير للإعلامي الجبار بالصحف ليس نهاية المطاف، وإنما يأتي بعد ذلك دور وسائل التواصل الإجتماعي والتي تتلقف التصريح النميس فتضعه حياً كما هو على موقع يوتيوب.. يفعل ذلك المؤيدون والكارهون، فالأولون يضعونه كدليل على عظمة حبيبهم، ثم يملأونه باللايكات أو علامات الاستحسان، والآخرون يضعونه كعلامة على بؤس صاحبه وخيبته القوية.. ولا تفعل وسائل التواصل هذا فقط وإنما تظل تضرب في العجين أكثر وأكثر فتأتي بما نشرته الصحف في ذات الصدد وتعيد نشره وتدويره إما بغرض المديح ونصرة صاحب العجين وإما لتوبيخه وإهانته. يعني بالصلاة على حضرة النبي يعيش الناس كل يوم هذه التمثيلية المملة بمراحلها الأربعة التي تبدأ بشخص جاهل يعتلي مصطبة ويقول كلاماً أجوف ثم صحف تعيد الكلام الأجوف، وتويتر وفيس بوك يعيدان نشر الكلام الأجوف منقولاً من الصحيفة، ويوتيوب يحمل ذات التخاريف ويعيد نشرها بالرغم من أنها ليست تصريحات لسعد زغلول أو حتى كريستيانو رونالدو وإنما هي مجرد اجتهادات صادرة عن أحد الكواحيل.

لكن برغم كل شيء فمن فوائد هذه العملية أنها توضح للناس المعني الحقيقي لمصطلح «تدوير النفايات» الذي قد يكون غامضاً بالنسبة لهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القمر الـجريـح

غيط الكرنب الذي لا يلهمك لعمل حلة محشي.. لا يعتد به!
كرتونة رمضان الخالية من اللحوم والطيور والأسماك لا تكفي لإدخالك الجنة، لكنها قد تُحسّن وضعك في جهنم!
عبد العطي يتمكن من إختراع طائرة مقاتلة يمكنها التزود بصينية الرقاق في الجو!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

البكاء في ضوء القمر

انتشر الحديث بين الناس مؤخراً حول نهاية العالم التي توقع أحد العلماء الأمريكان أنها ستكون يوم 26 سبتمبر 2016 بعد أن يتحرك مذنّب «إلينين» ليقف على خط مستقيم بين الأرض والشمس محدثاً سلسلة من الزلازل والبراكين الكونية التي ستلتهم كوكب الأرض بأكمله.
اكتملت الإثارة بالنسبة لي بعد أن تلقيت اتصالاً من أحد الزملاء الصحفيين يقوم بعمل استطلاع يضم 20 شخصية أراد أن يعرف ماذا سيفعل كل منهم يوم 26 سبتمبر لو أنه كان فعلاً يوم القيامة.. وإليكم ما أخبرت الزميل بأني أنوي فعله في ذلك اليوم:
سأنهض في الصباح وقد زايلني القلق على المستقبل مع شعور بالسعادة لأن كل من آذوا ثوار 25 يناير ومدوا إليهم الأيدي بالضرب والحناجر بالسباب، سوف يذهبون سريعاً جداً إلى جهنم وسوف يحشرون مع أحبائهم الذين يؤدون لهم التحية مثل مبارك وحلفائه ومن اتّبعهم.. بوساخة.
بعد ذلك سأجلس إلى المكتب لأؤدي واجبي وأكتب المقال اليومي دون أن أدري هل يصل إلى القراء أم يكون التراب قد احتواني وإياهم قبل الطبع. يلي ذلك أنني سأكافيء نفسي بإفطار أفتقده منذ مدة، ولن ألقي بالاً إلى قرحة المعدة ومقتضياتها حيث أن كل الآلام على وشك أن تنتهي. سأذهب إلى السيدة زينب لتناول واحد فول بالزيت الحار والشطة من عند الجحش، ولسوف أدوس في البصل الأخضر والتهمه غير عابيء بمن يتضرر من رائحته بعد أن فات أوان العتاب!.
بعد الإفطار سيكون النزول إلى قهوة أم كلثوم بالتوفيقية وهناك سأطلب شاي بحليب وأستمع إلى الست.. إلى الهانم الحقيقية أم كلثوم. عند الظهيرة سأتوجه إلى مقام سيدي وحبيبي الإمام الحسين الذي أنعم في رحابه بصفاء لا حدود له، وسوف أبثه أشواقي وأملي في أن ألقاه في الجنة لأجلس في حضرته وأسعد بلقياه.. وأنا بالمناسبة أعتقد في دخولي الجنة، ذلك أنني لم أعمل طوال حياتي في خدمة كلب ولا اتخذت القوادين أئمة، كما أنني لم أكتم الشهادة مطلقاً، ولم أذهب إلى المحكمة لأشهد زوراً لصالح قاتل لص.. أما ذنوبي فلم تعد تقلقني بعد أن عشت وشفت مبارك وعصابته ورجال إعلامه السفلة، ولا أظن العادل العفو الرحيم يساويني بأي وغد منهم. بعد الصلاة في سيدنا الحسين سيكون الذهاب إلى السينما حفلة الساعة السادسة مساء التي يبدأ فيلمها الساعة السابعة ومع ذلك ما زالوا يسمونها حفلة 6!. ومن السينما سأنطلق إلى ساقية الصاوي لأحضر العرض أياً يكون.. غناء.. موسيقي.. فن تشكيلي، ليس يهم.. المهم أن أودع مكاناً أحببته وقضيت فيه أوقاتاً جميلة.
بعد ذلك سأتوجه لآخذ واحد حمص الشام بالشطة والليمون من عند «عم علي» في الظاهر.. ذلك الرجل الذي يقف في نفس المكان من أربعين سنة، وقد كنت زبوناً عنده منذ المدرسة الإبتدائية حتى الآن!.
عندما ينتصف الليل سأعود إلى البيت وأبدأ حفلة القراءة الليلية ولن تخرج عن أحد الكتابين الذين أقرأ فيهما حالياً وهما رواية الجبل الخامس لباولو كويلو والجزء السادس من قصة الحضارة للمؤرخ العظيم ويل ديورانت.
لن أودع أحداً من أصحابي أو أحبائي لأنني أعتقد أنهم سيدخلون الجنة وسألقاهم هناك، وبالتالى ليس هناك داع لتضييع الوقت معهم.. لكني قد أفكر في أحد المثقفين الذين أثق في دخولهم جهنم يكون

يستحق أن ألقاه وأودعه.. لا لا.. في الحقيقة لا يوجد بين من آذوا الناس ونافقوا اللصوص وكتموا الشهادة وكانوا عوناً للمجرمين من يستحق ان أودعه لأنني في الحقيقة لن أفتقدهم.. سحقاً لهم.
بعد ذلك لو فاض وقت ولم تكن القارعة قد أتت بعد وكان التسونامي الرهيب الذي سيكنس الأرض ما زال أمامه بعض الوقت فإنني سأنزل إلى حافة جبل المقطم القريبة من مسكني وسوف أجلس هناك وأمارس ما كتب عنه الشاعر الكبير محمد الماغوط، وقد خبرته وجربته كثيراً وهو: البكاء في ضوء القمر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الأم العادية أجمل

منذ أن أطلت علينا صرعة «الأم المثالية» لم أعد أري عيد الأم إلا مناسبة سخيفة نجح الهكسوس الإعلامي في تجريدها من جمالها ووقارها وحولوها إلى سوق بلدي يضم أمهات المسؤولين والكبراء والوجهاء أصحاب النفوذ والسلطان، والى جوارهن بعض فنانات الغبرة من اللواتي لا نعرف عن مثاليتهن أي شيء لكننا نسمع عن مثلية بعضهن!.

ولأكون صريحاً لا أخفيكم أنني أفزع من فكرة أن يكون هناك شخص مثالي.. دائماً هذه الأصناف تخيفني ولا أشعر معها بالأمان أو نحوها بالتقدير، وتعيد هذه الصفة تذكيري بالعيال الذين زاملوني في المدرسة والجامعة ممن لم يُحسنوا في حياتهم سوي المذاكرة وصم الكتب وحفظ المقررات.. هؤلاء الذين كانوا أقرب إلى الروبوت البشري دون حياة أو روح، وإنما لهاث من أجل الدرجات العالية ورضي الأساتذة والفوز بلقب الطالب المثالى على حساب أيام الصبا الجميلة المليئة بالضحك والمرح والرحلات والأنشطة. كنت أشعر بالضيق من هؤلاء الزملاء ولا أحس بأي شيء يربطني بهم خاصة وأن تعلقهم بأستار المدرسين وسعيهم لاكتساب محبتهم كان ثمنه في الغالب القيام بدور الواشي أو «المواطن الشريف» بمفهوم هذه الأيام!. كذلك إذا نظرت إلى الموظف المثالى أو العامل المثالى فلن تجده شخصاً طبيعياً ممن يمكن مصادقته وإنما ستجد في الغالب كياناً بلاستيكياً أقرب إلى الزومبي وستجده مشغولاً بالمنافسة وتحقيق الفوز وإرضاء المدير دون أن يحفل بالروابط الإنسانية التي يصعب أن يكون المتمسك بها والحريص عليها مثالياً!.

وبالنسبة للأمهات لم أفهم أبداً لماذا يجب على الأم أن تكون مثالية؟ ألا يكفي أن تكون سيدة عادية تفعل ما عليها تجاه بنيها وبناتها. لقد اعتاد القوم أن يأتوا كل عام بسيدة يقدمونها على الشاشات بحسبانها أرملة مات زوجها وترك معها أطفالاً صغار فرفضت الزواج ونذرت نفسها لأولادها وعاشت محرومة من كل مباهج الحياة حتى تخرج الأبناء من الجامعة وأصبحوا من ذوي المراكز المرموقة.. إن هذه القصة تصيبني بالضيق لأنها مستقاة من زمن الأفلام البالية لعزيزة أمير وأمينة رزق.. ماذا لو تزوجت هذه السيدة برجل يصونها ويسعدها فتربي أولادها وتصل بهم لنفس النتيجة؟ ماذا لو حافظت على صحتها وشاركت أولادها الطعام ولم تحرم نفسها من اللقمة؟.. ألا تكون أماً جيدة إلا إذا أصابتها الأمراض نتيجة الحرمان؟ أنا أعلم حقيقة الفقر الفارش ملاءته على الوطن كله وأدرك أن الأحوال المادية للكثير من الأسر تجعل الأم والأب يؤثرون الأطفال على أنفسهم، لكن الأم التي تسرع نحو الأنيميا والفشل الكلوي لا تسدي خدمة للأولاد، ومن الأفضل أن تأكل معهم حتى لا تموت وتتركهم للضياع والتشرد.. ثم إن حدوتة التضحية حتى يكبر الأولاد ويتخرجوا من الجامعة ويصبحوا من نجوم المجتمع غير واقعية وغير معقولة، والواقعي أنهم تخرجوا ولم يجدوا عملاً فأضاعوا على أمهم فرصة أن تكون مثالية بالمعايير التليفزيونية! والحقيقة أن الشركات والمؤسسات لم تعد تعين أبناء الشقيانين، أما الشرطة والنيابة والقضاء والخارجية والتمثيل التجاري فلن تقبل أولاد امرأة مكافحة فقيرة.

الأم المثالية هي شيء غير بشري وغير طبيعي، والإصرار على وجودها يجعلهم يكذبون ليخترعوها اختراعاً، مع أن أمهاتنا العاديات خيرٌ وأبقي!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

تخليص سيارة.. من الأسر!

كنت عائداً إلى الوطن بعد سنوات قضيتها بالخارج فقررت أن أقوم بشحن السيارة إلى مصر.
عندما ذهبت للمطار لاستلامها قيل لي أن استلام السيارة لا يتم إلا بعد خروجها أولاً من المطار وذهابها إلى جمرك السيارات القريب!. قلت: أخرجوها إذن يا قوم. قالوا: من أجل إخراجها يجب أن تدفع الرسوم الخاصة بالكشف عن المفرقعات. سألتهم عما يحدث إذا رفضت الدفع.. هل يتركوها تنفجر بحمولة القنابل التي بداخلها؟. المهم.. خضت إجراءات عقيمة مع جهات كلها ألعن من بعضها حتى أصبحت السيارة جاهزة للخروج لكي تذهب إلى الجمرك. لكن ظهرت مشكلة.. أخبروني أنهم لا يجدون من يقود السيارة ويخرج بها إلى مبني الجمرك الذي يقع على الرصيف المقابل!.. قلت لهم جاداً: وما المشكلة؟ أقودها أنا.. إنها سيارتي وأنا أولي الناس بها. قالوا: لا يجوز، لا بد من موظف رسمي يعبر بها. قلت: أوكي.. هاتوا موظف رسمي وخلصوني. بعد ساعتين حضر شخص له هيئة متسول وخرج بالسيارة ثم توقف إلى جواري حيث كنت أنتظر خارج قرية البضائع وفتح الباب قائلاً: سأسمح لك أن تركب معي رغم أن هذا ممنوع. قلت له: ربنا يخليك لمصر!.
توقف بالسيارة داخل ساحة الجمرك ونزل منها مبتسماً وهو يفرك يديه. نفحته ورقة بعشرين جنيهاً فنظر لها بقرف وظل يشتم نفسه شتائم بذيئة لأنه قام بعمل المعروف فيمن لا يستحق. هممت بأن أسحب منه الفلوس لكني ضبطت أعصابي وأعرضت عنه.
اقترب مني أحد الأشخاص ودون أن ينظر نحوي قام برفع غطاء السيارة وقال لي: هات الورق. سألني في تأفف عن السعة اللترية ومكيف الهواء والراديو وأشياء أخري كلها مكتوبة في الورق الذي بين يديه.
مضي مبتعداً دون كلمة واحدة فعدوت خلفه فنظر إلى بصرامة وقال: اجلس هنا وانتظرني. راقبته وهو يدخل أحد المكاتب ويغيب بالداخل. بعد مدة أطل برأسه وناداني. دخلت فسحبني من يدي وقدمني إلى أحد الموظفين قائلاً: هذا هو صاحب السيارة. أشار لي الموظف أن أوقع على ورقة أمامه.
خرجنا من المكتب فسألته: من أنت بالضبط؟ لقد ظننتك تعمل هنا عندما دخلت على بكل ألاطة وطلبت مني الورق. قال: أنا الذي سأخرج لك سيارتك من هنا معززة مكرمة. قلت له: وهل تظن أن سيارتي من غيرك ستخرج مهانة ومعمول لها حاجات قلة أدب؟. قال: بالضبط.. هذا واللـه ما سيحدث!.
ظل طوال اليوم يدخل إلى مكاتب ويقف في طوابير حتى يصل في النهاية إلى الموظف المختص وعندئذ يخرج ليناديني ويصطحبني للداخل حيث أقوم بالإجابة على أسئلة لزجة من موظف سخيف أو أقوم بالتوقيع على أوراق أو أخرج فلوساً لشراء طوابع ودمغات، ثم أعود إلى الدكة الخارجية أجلس عليها مع مجموعة من الأسري أمثالى الذين لا يفهمون ما الذي يحدث ولا من هم الموظفون الحقيقيون في هذا المكان ومن هم المشهلاتية، حيث أن الفروق بينهما كانت ذائبة. لكني مع هذا استطعت التعرف على جوانب المشهد وأدركت أن المكان يحفل بمجموعة من العواطلية يتولون عن الزبون اللف بالأوراق على المكاتب، لكن ضايقني أن الأفندي الذي كنت من نصيبه ربما بسبب

سحنته الكئيبة لا يقيم علاقات طيبة بالموظفين تسمح له بسرعة الإنجاز أو هذا ما فهمته من خلال وقوفه في الطوابير مثل أي زبون!.
طافت بخيالى فكرة الحكومة الالكترونية التي تنهي تعاملات المواطن من خلال الكومبيوتر وترسل له بالبريد أوراقه، وأدركت استحالتها هنا لأن الموظف العمومي عندنا لا يستغني أبداً عن رؤية المواطن بشحمه ولحمه!.
بعد أن قمت بدفع الجمرك توجهت للأخ الذي كنت من نصيبه ونفحته خمسين جنيهاً، فما أدري إلا وثورة جنونية تندلع وهو يطالبني صارخاً بأتعابه التي قدرها بألف وخمسمائة جنيه!.
سألته في دهشة: مقابل ماذا هذا المبلغ؟ فقال: رسوم تخليص السيارة. فقلت صارخاً أنا الآخر: وهل كانت سيارتي واقعة في الأسر حتى تحتاج لمن يخلصها؟. قلت هذا ثم ركبت سيارتي وانصرفت.
عندما حكيت لأصدقائي ما حدث أخبروني بأن عمراً جديداً كتب لي وأن الشبيحة والمجرمين بالمكان ما تركوني إلا لظنهم بأنني صاحب سطوة وجبروت وإلا ما دفعت خمسين جنيهاً في تخليص سيارة!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الـحب العسير

في الدنيا أناس تحبك وتهتم بك، وقد يكون لدي بعضهم استعداد لافتدائك بكل غال ونفيس، وهذا يعني أن وجدهم وكلفهم بك لا حدود له. في الوقت نفسه أنت تمنح جُل مشاعرك وتفكيرك لآخرين قد لا يحفلون بك ولا يبالون بمشاعرك وليس لديهم استعداد ليبادلوك الحب والإهتمام.
الصورة السابقة هي حالة متكررة في كل زمان ومكان، وقد عبر عنها كتاب الروايات وتناولتها السينما وكانت محور الكثير من الأغاني، ولعل محمد عبد الوهاب قد لخص المسألة كلها عندما غنّي لحسين السيد يقول: بافكر في اللي ناسيني، وبانسي اللي فاكرني. وباهرب م اللي شاريني وأدوّر ع اللي بايعني.
أما عن السبب في هذه الحالة الشائعة لدي البشر فهو التوق إلى ما لا نملك والتطلع إلى الحصول على الصعب حتى لو لم نكن مؤهلين لبلوغه. وقد تكمن صعوبة الحصول على هذا الأمل في أن الطرف الآخر هو مثلك نمرود لا يقنع بمشاعرك السهلة التي لا تكفي لإرضاء غروره، وهو مثلك لا يرضي بأقل من التطلع إلى المستحيل. وعلى الرغم من أن الحسابات العقلية قد تخبر الشخص أن تطلعه هذا قد لا يكون فيه الخير ولا تكمن فيه السعادة المرجوة فإن الغضب والشوق المعتملان في أعماقه يمنعانه من الاستجابة لنداء العقل والعمل بالحكمة الشعبية القائلة: خذ الذي يحبك دون الذي تحبه.
ولعل المحاولات المضنية التي يبذلها الشخص لاسترضاء من لا يلقي إليه بالاً والتي تصل أحياناً إلى حد التذلل وإهانة النفس.. لعلها تكون سبباً في أن تتسلل الكراهية إلى قلبه بسبب الهوان الذي يحسه، لكنه رغم الكراهية المختلطة بالرغبة في الفوز لا يتزحزح بسهولة عن المحاولة.. إنه لم يعد يحلم بالظفر بالمحبوب ليسعده، لكن ليذله ويذيقه الهوان، وهذا لعمري من عجائب السلوك البشري.. أن يحلم المرء بالفوز ليعاقب غيره على أنه لم يقع في حبه ولم يتدله في غرامه!لكنها النفس البشرية المعقدة التي تنفر من السعادة المتاحة ولا تشعر بطعمها، بينما تنشد الحب لدي من لا يملكه.
ولعل قدرة المرأة على التجاهل وإيذاء الطرف الآخر في مشاعره تفوق قدرة الرجل على نفس الفعل، بسبب أن المرأة اعتادت أن تزهو بجمالها وتعتبره رأسمالها الأساسي في الحياة، وقد يستتبع هذا جمع المحبين ومشاغلة العشاق والتمتع برؤيتهم يتساقطون على الأعتاب، وقد يكون السبب أيضاً خشيتها من الإندفاع حيث لا يسهل إصلاح الخطأ في الاختيار.. أما لو كانت هي الطرف الذي يتم تجاهله فقد تصبح شديدة الخطورة لأنها تملك القدرة والمهارة على الغزل والنسج وشغل التريكو البطيء ـ بعكس الرجل ـ وحتى لو تأخر ردها فإنه في الغالب آت. لكن الرجل لا يغزل ولا ينسج لكنه يرد بغشم وتسرع وقد يصيب من كان يحب بجهالة، وهو في الغالب لن يتورع عن نثر الأقاويل حول من رفضته، وقد يختلق قصة حب وهمية يرويها للناس متهماً الفتاة بالخيانة والتقلب، أو بالطمع والتماس المال عند غيره. كل هذا وأكثر منه قد يحدث في قصص الحب غير المتبادل.. تكسير عظام وطعن وإيذاء وتشهير واتهامات ظالمة، نتيجة عجز الطرف المرفوض عن مواجهة نفسه بأن من حق كل إنسان أن يحب من يشاء دون أن يتعرض للأذى!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

سـلام الدواجن

حديث المؤامرة سخيف ولا قيمة له.. نحن نكاد نكون الأمة الوحيدة التي لا يتآمر عليها أحد. إن الأعداء لا يخفون إعجابهم بنا وتمنّيهم أن نظل نسير على الدرب الذي رسموه لنا منذ سنين. المؤامرات الحقيقية التي جرت في منطقتنا وقعت بحق دول منيعة مثل إيران الحالية والعراق الذي كان. بالنسبة للعراق فقد احتاجوا من أجل قتل علمائه إلى إحتلاله بالكامل، ولقد وجدوا أنفسهم مضطرين إلى إلقاء آلاف الأطنان من القنابل على مصانعه ومزارعه ومعامله وثكناته العسكرية، وفي سعيهم لتركيعه لم يتورعوا عن قتل مليون من أبنائه. لم يرحموا العراق ولم تأخذهم به شفقة لأنه كان معقلاً للعلماء، ولأنه امتلك برنامجاً طموحاً أخاف الأعداء. صحيح أن الاستبداد والدكتاتورية تسببا في أنه أصبح لقمة سائغة لأعدائه، لكن هذا موضوع آخر.

أما إيران فإن المؤامرات ضدها لم تتوقف منذ عام 79 وحتى الآن، وظل الحصار القاسي يطوق دولة الملالى عاماً بعد عام، والسبب ببساطة أنها نجحت في تربية كوادر علمية يقدر عددها بمئات الآلاف، ولو أنهم كانوا يستطيعون مهاجمتها عسكرياً وتدميرها دون ثمن باهظ لما ترددوا في ذلك كما فعلوا بالعراق، لكن الإيرانيين وعوا الدرس العراقي ورفضوا التفتيش على منشآتهم العسكرية أو استجواب علماءهم. العلماء إذن هم من يتحوط لهم الأعداء ويخشونهم ولا يتورعون عن دخول الحروب من أجل قتلهم. لهذا أقول بثقة أن أحداً لا يتآمر علينا ولا يسعي لإفشالنا، لأننا ببساطة لا نملك ما يخشاه أحد، فعلماؤنا والحمد للـه يهاجرون أولاً بأول بعد أن أدركوا أن أحداً هنا لا يحتاجهم ولا يريد منهم شيئاً. إن أقصي ما نبتغيه من عالم حقق نجاحاً بالخارج هو أن نستغله دعائياً ونقدمه في برامج تلفزيونية تافهة وكأن إنجازاته تعود إلينا، غير مدركين أننا إنما نستعرض الخيبة القوية التي دفعت الرجل للفرار من بيئة غير علمية تقصي الجادين في كل المجالات وترحب بالأراجوزات والمشعوذين. لقد كان من حظ رجل مثل أحمد زويل أن الدولة المصرية لم تلجأ إليه في أي مساعدة علمية ولم تطلب إشراكه في أي برنامج علمي حقيقي، وهذا يتيح له حجة رائعة تعفيه من اللوم إذا ما فكر أحد في معاتبته على أنه يتعاون علمياً مع الإسرائيليين ولا يفعل المثل مع مصر!.

إنني أتصور أن الغرب لا يلقي علينا القنابل ولا يرغب في أن يفعل، ليس لأنه يحبنا أو يعتبرنا أصدقاءه، بل لأنه يرانا لا نستحق ثمن الذخيرة طالما لا يوجد لدينا علماء. انظر إلى موقف الدول الغربية من العرب.. إنهم في واقع الأمر يحتقرونهم ويمقتونهم ويرون أن تطرفهم الديني سبب أساسي للإرهاب الذي يعانون منه، وقد أصبحوا الآن يتصارحون بأن إيران لا تشكل خطراً من هذه الناحية، ومع ذلك فالتحالف بينهم وبين الدول العربية على أشده، ولا يتخذون منها المواقف التي يتخذونها ضد إيران من حصار وفرض عقوبات. إنني لا أتمني بالطبع أن يفرضوا حصاراً أو عقوبات أو أن يهاجموا عسكرياً أي دولة عربية، لكني أبشر العرب بأن استسلامهم التام وكراهيتهم للعلم، وبالتالي خلو بلدانهم من العلماء قد وقاهم شر المؤامرات واغتيال الكوادر العلمية، ونجّاهم من خطر الغارات والقنابل، فحققوا بذلك السلام التام الذي تحظى به الدواجن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أرخص لـيالـي

بعد أن فقد الناس الأمل في عودة الأرصفة التي تم تأميمها بواسطة المحلات والمقاهي، وبعد أن فوضوا أمرهم إلى اللـه وقنعوا بأن يسيروا في نهر الشارع إلى جوار السيارات، إذا بالأمر يسوء أكثر وتنزل المقاهي بكراسيها ومناضدها وفحمها وأراجيلها إلى الشارع فتحتل نصفه ثم لا تكتفي بهذا وإنما تقوم بتعليق شاشات تليفزيونية عريضة على قوائم نصبوها فوق الأرصفة حتى يتمكن الجمهور الجالس في عرض الشارع من متابعة المباريات وهم يدخنون الشيشة ويشربون الشاي. كل الشوارع أصبحت بها الشكل، والذي يقود سيارة يجد نفسه يمرِ من خلال أناس يجلسون إلى جوار نافذته فيتبادل معهم الضحكات والنكات ويكاد يمد يده ويسحب نفَسين معهم!.

وقفت على الرصيف أتأمل المشهد السابق في أحد شوارع العاصمة وكان التليفزيون ذو الشاشة العريضة يبث مباراة في الدوري المحلي لكرة القدم، وصبي المقهي يحمل الطلبات في خفة ورشاقة وينزل بها للشارع يضعها أمام المتفرجين الذين يعلو صوتهم بالصراخ عندما يحجب القهوجي الشاشة وهو يضع المشاريب فتفوتهم لحظات من المباراة. لاحظت أن المباراة التي تحلق حولها هذا الجمع الرهيب ومثله في كل شارع وحارة في عموم القُطر كانت تدور بين ناديين لأول مرة أسمع بهما، فلم يكن من ضمنهما الأهلي أو الزمالك أو الإتحاد والترسانة والأوليمبي والاسماعيلي، وهي الأندية التي أعرفها، وإنما كان بين فريق اسمه المطحنة على ما أظن وفريق آخر نسيت اسمه. تساءلت: هل تغيرت الدنيا من حولي إلى هذا الحد؟ حد وجود فرق كروية جديدة يتابعها مشجعون وهم جلوس في وسط الشارع وعجلات الأوتوبيس تلامس أقدامهم.. كل هذا يحدث وأنا لا أدري؟.

عرفت بعد ذلك أسماء بعض الأندية التي ظهرت مثل المقاصة ووادي دجلة ومزارع دينا وحدائق لوسي والجونة والمونة وتليفونات ميت غمر والبورصة الجديدة وغيرها.. عرفت أيضاً أن أغلب هذه الأندية بلا جماهير فما زالت ثنائية الأهلي والزمالك طاغية مثل ذي قبل، مع استمرار العصبية التقليدية لأبناء المدن للفرق التي تمثل مدينتهم كفرق الإسماعيلي والمحلة والسويس والمصري البورسعيدي. لهذا لم أجد سبباً لكل هذا الزحام على المقاهي المحتلة للأرصفة والشوارع وقت مباراة بين مواسير باب اللوق واتحاد هند رستم إلا أن يكون ذلك هرباً من البيوت الضيقة الخالية من البهجة، المليئة بالأطفال والمشاكل. لقد كتب الأديب الكبير يوسف إدريس قصته الشهيرة «أرخص ليالي» يصف فيها حال فلاح انتهي من عمله في الحقل وأراد أن يحظي في المساء ببعض الترفيه فوجد نفسه عاجزاً عن النزول للبندر والذهاب للسينما بسبب ضيق ذات اليد، كما لم يستطع أن يزور أحداً من جيرانه وأقاربه في بيوتهم من أجل التسامر لأن هذا يحتاج أن يأخذ معه هدية مثل قرطاس سكر أو باكو شاي، وعجز حتى عن الجلوس على المقهي بسبب جيوبه الخاوية، وفي النهاية لم يجد سوي العودة للبيت والنوم مع الزوجة، لتأتي له بعد تسعة شهور بطفلٍ جديد.

أتصور أن الجلوس في منتصف الشارع للفرجة على مباراة عادية بين فريقين متواضعين هو أحدث وسائل الفقراء من أبناء المدن لقضاء ليالى رخيصة.. بالتبادل طبعاً مع العودة لأحضان الزوجات البائسات!

اقتلوني أو اطرحوني أرضا

الجامعات المصرية أفضل من مثيلاتها البريطانية بمراحل.. يكفي أن تعرف أنه في إنجلترا ليس لديهم تجارة إنجلش!

معظم الناس في بلادنا يعتقدون أن الكذب لا بأس به ما دمتَ لم تقسم باللـه!

عبد العاطي يقوم بنشر طواجن شركسية فوق سطوح المستشفى تحسباً لأي هجوم مفاجيء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سذاجة مفرطة

حين وصلتني رسالة على البريد الإليكتروني منذ عدة سنوات يطلب صاحبها نسخة من كتابي الأول الذي ذاع صيته وقتها فإنني تأثرت لأن صاحب الرسالة الطالب الجامعي كان يرغب في قراءة كتابي، لكن ميزانيته تقصر عن إمكانية شرائه. فهمت من الرسالة أن هذا الشاب من قرائي المخلصين الذين يتنقلون معي حيثما كتبت.. بعدها أدهشني أنني تلقيت رسائل مماثلة من قراء آخرين من أماكن عديدة بالقُطر تكرر نفس الطلب وتسوق نفس الأسباب. ما زلت أذكر أنني قررت القيام بجولة بصحبة أحد أصدقائي أمر فيها على عناوين بعض الإخوة القراء الذين طلب كل منهم نسخة من الكتاب كهدية، وهكذا بدلاً من إرسال الكتاب بالبريد ذهبت بنفسي إلى الذين استشعرت من رسائلهم الحميمية وقدّرت رغبتهم في القراءة لي.. تنقلت ما بين مناطق القاهرة المختلفة من الإمام الشافعي إلى شبرا الخيمة إلى السكاكيني فعزبة النخل ثم حلوان. قمت بهذه المشاوير بدافع المحبة ورد الجميل لمن شرفوني بمتابعتي والتواصل معي.

أذكر أيضاً الرسائل التي أتت من الصعيد حيث كانت الشكوي عدم وجود مكتبات تعرض الكتاب، ويبدو أن هذه الحقيقة قد أعفتهم من ذكر السبب الأساسي وهو ضيق ذات اليد، وبالنسبة لهؤلاء لم أتردد في الذهاب إلى مكتب البريد القريب وإرسال نسخ من الكتاب لكل منهم.

فيما تلى ذلك من سنوات صدر لي عشرة كتب أخري، لكني لم أكرر تجربة توصيل الكتاب لمحبي القراءة المفلسين. توقفت عن ذلك ولم تعد تحركني حرارة الرسائل أو حميميتها.. جائز لأنني نضجت بعض الشيء وذهبت عني السكرة الرومانسية التي صاحبت الكتاب الأول والخاصة بالتواصل مع القراء والتعاطف الإنساني مع الناس عموماً.. صحيح لم أفقد الحس الإنساني تماماً، لكني أصبحت أكثر تحفظاً في الإستجابة لرسائل من هذا النوع. أما السبب الحقيقي بخلاف اعتناق الواقعية فكان أن الذين تجشمت عناء الذهاب لهم استقبلوا في معظمهم مبادرتي بفتور.. كنت أشعر أنني أقوم بعمل له شأنه وأتوقع السعادة التي سأراها مرتسمة على الوجوه المتفاجئة، غير أن ردود الفعل إجمالاً كانت مربكة ومحبطة. أحدهم أمسك بالكتاب ثم أخذ يقلبه في يده ويعيد النظر بيني وبينه ثم قال لي شكراً وأغلق الباب!

وآخر شكرني بشدة لكنه استدرك وبدأ ينظر لي في شك وكأنه يري كائناً فضائياً، ثم تخلص مني بسرعة وبدون حتى أن يدعوني للدخول، وثالث طرقت بابه عندما كان أبوه يكبس له مكان الإصابة بالبن بعد أن شُج رأسه في خناقة شوارع! ورابع سألني: ممكن أعرف لماذا أتيت بنفسك؟ هل تريد أن تشتريني بكتاب أم تحاول إقناع نفسك بأنك الكاتب البسيط المتواضع؟ وخامس تسلمت أمه الكتاب ثم لم يكلف نفسه عناء الإتصال والشكر.

أصابتني هذه المواقف باكتئاب وتساءلت بيني وبين نفسي عن شعوري لو أن يوسف إدريس أو أنيس منصور طرق بابي في الصغر ومنحني كتاباً.. لا أقول أنني في قامة هؤلاء، لكني أتحدث عن مبدعين أحبهم.

في مرحلة تالية كنت أرسل الكتاب بالبريد في أضيق نطاق لمن تعجبني رسالته وأجدها خالية من الأخطاء الإملائية الشنيعة. لكن بمرور الوقت توقفت تماماً عن هذه التصرفات ولم أعد أعتبر نفسي

مندوب العناية الإلهية لإسعاد الفقراء التواقين للقراءة، ورأيت أن توزيع سندوتشات الكبدة أجدي بكثير من حيث المردود الفوري الذي يأتي على شكل ابتسامات ممتنة لا ينظر صاحبها لك على أنك كاتب مجنون أو مختل ترك صومعته ونزل ليهدي كتابه لعيل صغير! الخلاصة أنني أحسست كم هبطتُ بقيمة كتابي عندما تصرفت ببساطة وحملته بنفسي لأناس طلبوه في رجاء ومع هذا تلقوه باستخفاف!

وسبب إضافي أكثر وجاهة هو أنني أصبحت أكثر تواضعاً فيما يتعلق بتقييم نفسي وما أكتب، إذ لم أعد أعتبر من فاته قراءة مقالى أو روايتي قد فاته شيء، بالعكس ربما يكون قد نجا من التشوش الذي تحدثه القراءة لمن تتغير رؤيته للحياة والأشياء من وقت لآخر مثلي.. ليس هذا فقط، بل إنني توقفت عن وضع البريد الإلكتروني داخل الكتب بعدما أصبح التواصل في الغالب لا يجلب سوي المناقشات البيزنطية وضياع الوقت والصداع المزمن.. فضلاً عن شيء آخر مهم أحب أن أذكره، وهو أن القاريء الذي لا يراك ولا يتصل بك يتصور أن لك طلة وليم شكسبير أو رصانة جورج أورويل أو سحر باولو كويلو.. ومن الأفضل أن تتركه على راحته!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قرحـة في المعـدة

في عيادة أستاذ الجهاز الهضمي كنت أجلس أنتظر دوري عندما انفتح الباب وخرج من حجرة الطبيب رجل في الأربعينات يضع بيريه فوق رأسه. خرج الرجل يضرب كفاً بكف، ثم نظر إلينا وأشار نحو غرفة الطبيب قائلاً: الدكتور يقول لي: ما تزعّلش نفسك حتى لا تتفاقم القرحة. هل يظن حقاً أنني أساهم في تخريب صحتى بتعمدي أن أزعّل نفسي؟.. هل تظنون أنتم أنني أفعل هذا؟. إنني أنحني أمام الحوض كل صباح لمدة ساعة أكاد أطرد أحشائي مع العصارة الحمضية الحارقة، وفي معظم الأيام أتقيأ دماً.. ولا يخفي عليكم الآلام المصاحبة لكل هذا، فهل يمكن أن يكون ذلك من صنعي؟.. قولوا للطبيب أن يطلب من الناس ألا يزعلوني، فهذا أجدي من أن يقول لي: ما تزعلش نفسك!.

قال الرجل هذا ثم تهالك على مقعد بجانبي وفي يده روشتة الطبيب. أجال النظر في الجالسين بالصالة ثم استأنف حديثه: منذ يومين كنت أسير بالشارع عندما أتت من خلفي سيارة بها مجموعة من الشباب، وبدون سبب قام أحدهم بضربي بقبضة يده من الخلف في كليتي. الضربة كادت تقتلني من شخص لا يعرفني ولا أعرفه. بدا الرجل متأثراً جداً وهو يواصل: أنا أعلم أن الحياة مليئة بالسخافات وأن كل الناس تتعرض لأشياء من هذا القبيل، لكن ما حيلتي إذا كنت لا أستطيع أن أحتمل قدراً كبيراً من هذا الأشياء في فترة وجيزة.

يبدو أن الرجل قد وجد راحته في الحديث فراح يكمل: صديقي.. أعز أصدقائي اقترض مني مبلغاً من المال قال إنه يحتاجه لإنقاذ أبيه من الموت حيث تلزمه جراحة عاجلة.. هل كنت أرفض أم أمد له يدي؟.. هو يعلم أنني لست غنياً وأن الفلوس التي أخذها مني هي ذخري للأيام الصعبة القادمة عندما تتقدم السن وتضعف المناعة وتهجم بقية الأمراض، ومع ذلك فقد اخترع تمثيلية الأب المريض وأخذ القرشين!.. لقد حدثني البعض بأنه كان ينبغي أن آخذ عليه وصل أمانة حتى أضمن حقي، لكن يا أسيادنا هل هناك من يأخذ إيصالاً على أخيه.. أي حياة هذه؟. لقد خدعني، فهل يعني هذا أنني رجل مغفل أم يعني أنه خائن.. قولوا لي بربكم حتى لا أجن.

نظرت حولي فرأيت الناس تتطلع إلى الرجل وقد تركوا ما يشغلهم وانصرفوا تماماً إلى الاستماع لما يقول. خلع البيريه فظهر شعره الأسود الناعم وتبدت وسامته وهو يلوح بيده قائلاً: حتى زوجتي لم تقاتل في صفي أبداً.. كانت دائماً تحارب على الجبهة الأخري وتمد الشياطين الذين يصيبوني بالصداع بذخيرة من النكد لا تنفذ. لم أصدق يوم قالت لي: دع عنك حكاية الرجال القوامين على النساء وهذه الحواديت التي اخترعتموها لتتحكموا فينا وتذلونا.. أنا أعمل مثلك ولا أحتاجك في شيء. دهشتي كان سببها أني لم أحدثها في شيء مما ذكرت وإنما قلت لها فقط: ممكن كُباية مية من فضلك.. آه واللـه هذا ما قلته. وسبب الدهشة أيضاً أنها تعمل صحيح لكنني لم أسمح لها بإنفاق مليم واحد على البيت وأتكفل دائماً باحتياجاتها.

قطع استرساله وسألني متشككاً: هل أنت معي أم أنني أكلم نفسي؟. هززت رأسي بما يفيد متابعتي لحديثه. قال: واللـه ما زعلت من رغبتها في التحرر ولا من اضطراب تفكيرها.. أنا حزنت من غياب الإنصاف.. الإنصاف الذي سيقتلني اشتياقي إليه.. لو أنها تريد لنفسها ولكل انسان في الدنيا أن يكون

مسؤولاً عن نفسه فقط ولا يضع أحداً تحت كفالته.. فواللـه لم أكن لأقف في طريقها لأنها بهذا تعفيني من عبء مسؤوليتها.. لكن لو كانت صادقة فيما تدعيه فلماذا تأخذ فلوسي إذن؟.. ألا تشكل هذه الفلوس قدراً من الحماية تستوجب أن تظهر بعض الإحترام والتقدير لصاحبها؟.. لماذا تلجأ إلى في الشدة ما دمت أنا مجرد كيس جوافة؟.. ولماذا إذن لا نعيش معاً كصديقين دون أي التزامات كما يفعلون في الغرب؟.. ثم باللـه عليكم خبروني كيف تسمح لنفسها أن تفعل مثل الفنانات المعتزلات التائبات عن الفن اللاتي يقمن بلعن الفن ثم لا يفكرن في إرجاع فلوسه!.

سكت فجأة ثم قال لي بصوت خفيض: أنا لا أعرف البكاء وربما إن هذا من أسباب عذابي وتفاقم قرحتي.. هل يمكن أن تهبني شيئاً من دموعك وتبكي بدلاً مني؟.

تسمرت في مكاني وعجزت عن الرد للحظات، ثم وجدتني أقوم مندفعاً خارج باب العيادة.. وعلى السلم انفجر داخلي السؤال: أنا أستطيع البكاء بسهولة.. فلماذ أصابتني القرحة أيضاً؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حبيبـي يا طلعت!

كان يسرع الخطي وهو عائد في المساء بعد أن أنهي عمله بشركة السياحة. في الطريق للبيت كانت تداعب خياله رائحة لقمة ساخنة أعدتها أمه من إبداعها كما تفعل كل يوم، وكان عليه أن يسرع ليلحق برنامج «المواهب» بالتليفزيون قبل أن يبدأ.

عند ناصية الشارع وجد سيارات شرطة تسد الطريق، وأبصر رجال الداخلية يمسكون ببعض الشباب ويدفعون بهم داخل عربة الأمن المركزي الضخمة. بدافع الفضول وجد نفسه يقترب ويسأل أحد الأمناء: إيه الحكاية.. ماذا فعل هؤلاء؟. نظر إليه الأمين وأخذ يتفرس فيه، ومن الواضح أن شيئاً في سحنته أثار ارتيابه، لأنه بدون أي كلام أمسك به ونجح بمساعدة المخبرين في الزج به وإلقائه داخل السيارة مع الشباب المقبوض عليهم!. لم تُجد توسلاته وصيحاته وصراخه المستمر بأن هناك خطأ في الأمر وأنه ليس ضمن هؤلاء. وجد نفسه محشوراً داخل غرفة تعج بالمحتجزين ولم يستطع أن يجد لنفسه بلاطة ينام عليها فقضي الليلة واقفاً.

في اليوم التالى ووجه بالإتهام بالتظاهر مع مجموعات تخريبية تنتهج العنف. نفي التهمة بشدة وأكد للمحققين أنه إلى جانب عمله بالسياحة يحلم بالغناء وليس له اهتمام بالسياسة. قيل له: سنري ما تسفر عنه التحريات بشأنك. كان في أمسّ الحاجة إلى الحديث في التليفون حتى يخبر أهله الذين قضوا بالتأكيد ليلة سيئة في انتظار عودته للبيت. لمح بينما كان يجلس على الأرض خارج غرفة التحقيق أحد العساكر الذي بدت عليه شهامة أهل الريف.. سأل العسكري عن اسمه فأجاب هذا: طلعت. قال له بصوت خفيض: ممكن يا طلعت موبايلك لأحدّث أهلي حتى يحضروا لي محام؟ ثم أضاف: وحلاوتك محفوظة لا تقلق. بان الخوف في ملامح العسكري واعتذر بأنه سيتعرض للعقاب الشديد لو فعل.

بعد أن يئس من عمل المكالمة فوجيء بالعسكري وقد لان قلبه يهمس له: امسك التليفون وادخل دورة المياه دون أن تدع أحداً يراك.. الكارت به جنيهان يعني تقدر تعمل أربع مكالمات. بالفعل استطاع بعد دخول الحمام أن يقوم بعمل عدة مكالمات وأعاد التليفون للعسكري الشهم ثم احتضنه في امتنان، ولم ينس أن يسجل رقمه حتى يكافئه بعد أن يفرجها ربنا.

الحمد للـه.. أثبتت التحريات براءته فتم إطلاق سراحه وعاد إلى الحياة مرة أخري.

بالخارج كانت بانتظاره والدته ووالده وأخته المتزوجة وأخيه الأصغر. ركب معهم السيارة والدموع تبللهم جميعاً من فرحة اللقاء بعد أسبوع عصيب. في الطريق قص عليهم جانباً من الأهوال التي عاشها مع متهمين من كل نوع، سياسيين وجنائيين حتى إنه كان يتصور نفسه في كابوس لن يصحو منه، ولم ينس بطبيعة الحال أن يخبرهم عن شعاع النور الذي صادفه وسط الظلمة.. العسكري «طلعت» الفلاح الكريم الذي سيظل مديناً له بقية عمره عندما غامر بسلامته وقدم له تليفونه ثم اختفي وكأنه مَلَك كريم رافضاً أي حديث عن مكافأة أو ما شابه.

قال أبوه مدهوشاً: العسكري طلعت؟ لقد اتصل بي وشرح لي ظروفك وكنت أعطيه كل يوم مائة جنيه لتوصيلها إليك حتى تتمكن من شراء ما يلزمك من الكانتين!

وقالت أخته: طلعت أخذ مني خمسمائة جنيه ليمنحها للشاويش حتى يعفيك من علقة المساء وكذلك من أجل تحسين وضعك بالحجز.

وقالت أمه: لقد طبخت لطلعت ما تيسر من الطواجن والصواني والمحمر والمشمر، وكان يمر على كل ليلة ليحمل الطعام من أجل خاطرك يا ولدي.. لقد أفهمني أن توزيع الطعام سيجعل أيامك يسيرة بالسجن.

وقال أخاه: طلعت أخذ مني الدراجة الرالى المدفوع فيها خمسة آلاف جنيه ليقضي بها مشاوير لصالحك!

نظر إلى الأفق خارج السيارة وهو يسترجع توصية طلعت وهو يهمس له بجوار دورة المياه بضرورة إجراء أكثر من مكالمة لأهم الأشخاص لديه.. لم يكتف الملَك الكريم بابتزاز شخص واحد، فأخذ العائلة مقاولة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سياحة توجع القلب

يزخر العالم بالأماكن السياحية التي تستحق الزيارة، ومع هذا فتلك الأماكن في الدول المتقدمة تختلف عنها في البلاد التعيسة. في انجلترا مثلاً يوجد مجموعة أحجار صخرية، ملقاة في قطعة أرض فضاء، حولّها الإنجليز إلى مزار سياحي تم وضعه داخل البرامج التي تضم جولات داخل انجلترا، وقد قمت شخصياً بزيارة هذه البقعة المسماة «ستون هينج» ضمن فوج سياحي ولم أفهم أبداً معني أن تقوم بعمل سياج من سلك معدني حول بضعة حجارة من الطوب وتقوم بتحصيل إثني عشر جنيهاً استرلينياً ممن يريد أن يقترب من الحجارة داخل السياج!.. الأكثر طرافة أنهم حوّلوا المكان إلى سوق تجاري تباع فيه العاديات والتذكارات والمظلات الواقية من المطر والمأكولات الخفيفة والمشروبات.. كل هذا في مكان ليس له أي معني سياحي أو قيمة تاريخية مميزة!

على العكس من هذا تماماً وجدتُ مدينة إسنا التي توقفت عندها الباخرة السياحية التي أبحرت من أسوان إلى الأقصر، وجدتها أسوأ مما كانت عليه يوم بني الفراعنة معبداً بهياً على هذه البقعة، فعلى الأقل منذ ثلاثة آلاف سنة لم يكن هناك تلوث ولا روث يملأ الشوارع ولا كان الغبار يسد الأنوف ولا كان العمل الوحيد للسكان هو قيادة حناطير قديمة متهالكة لتوصيل السياح من مرسي السفن على النيل إلى المعبد في زيارة سريعة لا تستفيد فيها المدينة من الحركة السياحية إلا في ثمن ركوب الحنطور والملاليم القليلة المدفوعة في تذكرة دخول المعبد!.. في هذا المكان تصورت لو أن اللـه قد منح هذا المعبد لأناس آخرين في دولة أخري، فإنهم كانوا ليبنون مجموعة فنادق في البلدة ويقيمون صناعة تذكارات ويفتحون مطاعم ومقاه وملاهي ودور سينما ويجعلون من هذا المكان جنة ولا يتركون به متسولاً أو عاطلاً عن العمل.. كل هذا يمكن عمله حول المعبد المهمل المحاط بالخرائب والذي لا يوجد بالمدينة التي تضمه فندقاً واحداً ولو درجة سابعة أو دورة مياه آدمية يمكن أن يستخدمها إنسان!.

وما ينطبق على مدينة إسنا ينطبق على مدينة إدفو ومدينة كوم امبو التي يقع بكل منها معبداً مشابهاً في قيمته وعظمته، يقبع في بقعة منبوذة. الطريق كله الذي تسلكه المركب من أسوان للأقصر والعكس يعرض الجمال الفقير على طول شاطيء النيل.

لقد زرت أماكن كثيرة في بلدان فقيرة ورأيت الإهمال الذي يقترب مما لدينا، وشاهدت الفقر في صورة فولكلور يتم تسويقه لإمتاع السائح بمشاهدة الإنسان الأول على حاله القديم من آلاف السنين.. شكله وملابسه وبيته وأدواته وطريقة حياته، لكن هذا لم يفزعني أو يسبب لي غصة لسببين الأول أن الإهمال كان معقولاً ولم يكن موغلاً في العبثية والحُمق، والثاني أن هذه البلدان ليست بلدي وضياعها لا يؤذيني مباشرة، أما عندما تكون سياحة الإنسان الأول هي الأساس في بلدنا فهذا يكسر القلب، خاصة وأنا أري الحل سهلاً، لكني أعلم أنه بعيد المنال.

لقد قمت بالتقاط الصور التذكارية مع المتسول الهندي والتايلاندي والكيني واعتبرتها جزءاً محبباً من ذكريات كل رحلة، لكنني لا أستطيع أن أفعل هذا مع المتسول في بلادي لأن وجوده يكسرني ويشعرني بالعار ويجعلني أتضاءل وأنا أري السياح يحتفون بقذارته ورقة حاله ويلتقطون معه الصور التي ستكون مصدراً للثرثرة مع الأصدقاء لسنوات طويلة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

البلاد والعباد

عندما تحرك الضباط الأحرار ليلة 23 يوليو لم يكن يخطر ببال أحدهم أن ما يفعلونه اسمه ثورة. كانوا هم وغيرهم يفهمون أن الثورة هي عمل مهول يهب فيه الشعب وينتفض ليعدل الموازين المائلة. لهذا فقد قنعوا بأن يطلق على ما فعلوه اسم «حركة».. ثم زادت سعادتهم عندما أضاف البعض صفة البركة إلى الحركة فأصبحت الحركة المباركة. حدث ذلك عندما كان المجتمع لا يزال يعج بأحزاب سياسية وتنظيمات عمالية وحركات إجتماعية وجماعات دينية وحراك طلابي. أقصي ما حصلت عليه جماعة الضباط الأحرار في ظل مجتمع حي هو اسم «الحركة المباركة». لكن بعد أن تم تأميم السياسة وغلق الأحزاب والجمعيات وسجن النشطاء بدا للحكام الجدد أن حكاية الحركة المباركة هذه لم تعد كافية فقرروا أن يقبلوا ما اقترحه بعض السرسجية من الكتاب والصحفيين بتسمية ما حدث في 23 يوليو 52 بالثورة!. والحقيقة أن التأييد الذي لقيه عبد الناصر ورفاقه من الجماهير في الشارع المصري كان حقيقياً ولم يكن زائفاً كما يزعم البعض، ولكن مالهذا وإعادة تسمية حركتهم بالثورة؟ هل هي مكافأة، وهل كل من امتلك السلاح والإعلام يحق له أن يخلط المفاهيم ويزرع ما يشاء من مصطلحات في تربة المجتمع وهو آمن من المراجعة أو المعارضة؟. لقد بادر مثقفو الحظيرة الموجودون في كل زمان ومكان بفلسفة الأمر على النحو التالي: لقد تحرك بعض ضباط الجيش لتغيير الحكم وإزاحة الملك، وقد وافقهم الشعب وأعلن رضاه على ما حدث، وبناء على ذلك فإنها ثورة وليست أي شيء آخر!.

قد يظن بعض من يقرأ هذا الكلام أنني من المعادين ليوليو 52 أو من الكارهين لعبد الناصر، والحقيقة أن هذا غير صحيح.. أنا فقط أناقش التسميات التي لا تخضع لموازين موضوعية وتحسمها القوة وحدها. ثم ننتقل بعد يوليو 52 إلى مايو 71 عندما قام أنور السادات بالقبض على بعض وزرائه من رجال عبد الناصر وألقاهم في السجون.. وقتها خرج بعض ندماء السادات ومجالسيه وأهل أنسه وأطلقوا على خناقته مع أصحابه اسم ثورة التصحيح، وأصبح الخامس عشر من مايو كل سنة عيداً تقام فيه الأفراح وتعلق الزينات، وظهرت موضة إطلاق اسم 15 مايو على كوبري ومدينة جديدة وصيدلية ومحل مكوجي!.

تمر عشر سنوات بعد هذا التاريخ ويضيق صدر السادات بالمعارضين فيقبض عليهم في سبتمبر 81.. وبعدها يخرج المعسلاتية ويقولون إنها ثورة 5 سبتمبر.. وربما أن ما أنقذنا من كباري ومدن وملاهي ومنتجعات اسمها 5 سبتمبر هو وفاة السادات بعد شهر واحد من آخر ثوراته!. ينقلنا هذا إلى 25 يناير التي كانت ثورة صريحة عندما كان الثوار في الشوارع وكلمتهم مسموعة والكل يرجو رضاهم، ثم تحولت بعد ذلك إلى نكسة ووكسة ومؤامرة عندما استولي مبارك على الحكم من جديد.

لا توجد معايير مفهومة ولا يوجد دليل يُرجع إليه، وإنما موازين القوة تستطيع أن تجعل من تناول سلطانية شوربة في الصباح أو الجلوس على شط النيل مع كوز ذرة مشوي ثورة تقام لأجلها الأفراح والليالى الملاح وتحتفل بها البلاد والعباد.. فيالها من بلاد ويالهم من عباد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مـباراة في الرجـبـى

كانت المدينة مشغولة بالكامل بمباراة الكرة التي يلعبها الزمالك في نهائي أبطال أفريقيا، فالناس في الشوارع والميكروباصات وداخل المكاتب وعلى القهاوي لا حديث لها إلا عن المباراة. في المساء عندما بدأ الماتش التف الجميع حول الشاشات يتابعون الأحداث دقيقة بدقيقة. في ذلك الوقت كنت أحرك ريموت التليفزيون بحثاً عن قناة ناشيونال جيوجرافيك. مرت المباراة من أمامي أكثر من مرة أثناء البحث ولم أفكر في أن أتوقف وأتابعها.. كان الناس في واد وأنا في وادٍ آخر.

نظرت إلى نفسي في دهشة.. نفس الإحساس الذي ينتابني الآن هو ما كنت أحس به عندما كنت أعيش في كندا أثناء مباراة هامة في البيسبول أو في كرة القدم الأمريكية.. كان الناس يلتفون حول الشاشات في البيوت والحانات وفي الميادين الكبرى يتابعون ويصرخون، بينما أنا في حالة لا مبالاة تامة مع بحث في التليفزيون عن قناة تقدم شيئاً مفهوماً. لقد صارت كرة القدم المحلية شيئاً غير مفهوم بالنسبة لي ولم أعد مشغولاً حتى بمعرفة النتيجة!

لا أنكر أن هذا الموقف أدهشني وسبب لي شيئاً من الضيق خشية أن يكون شعوري هذا نابعاً من تعالٍ أو ترفّع على ما يحبه أهلي وناسي، لكني طمأنت نفسي بأن الأمر ليس كذلك. لقد كنت طوال حياتي محباً للكرة ومشجعاً لها، وكان الأهلي هو فريقي المفضل الذي أحببته منذ الطفولة، وهو فريق يسعد مشجعيه أكثر بكثير مما يفعل الزمالك، فلماذا يا ترى انصرفتُ عن متابعة الدوري والكأس والمشاركات الأفريقية ولم أعد أحفل إلا بمشاهدة كأس العالم أو كأس أبطال أوروبا؟.

إنني أذكر إشتراكي في شبكة إيه آر تي عام 2006 خصيصاً من أجل مشاهدة كأس العالم وكذلك الإشتراك في بي إن سبورت عام 2014 من أجل نفس البطولة، بينما لم أعد الآن أعرف أسماء لاعبي الأهلي والزمالك ولا من هي الفرق التي تلعب بالدوري.

أنا أعرف أن عشاق كرة القدم في كل مكان يتابعون كأس العالم وبطولة أوروبا وكوبا أميركا، يتابعون كذلك الدوري الإسباني والإنجليزي والألماني ويحفظون أسماء اللاعبين الكبار، لكن هذا ليس بديلاً عن متابعة الدوري المحلي في بلدانهم، ومن الممكن أن يكون الشخص مشجعاً لريال مدريد وفي الوقت نفسه يذوب عشقاً في فريق بلدية المحلة!. أعرف كذلك أن ارتباط المرء بتشجيع فريقه المحلي غير مرهون بكونه فريقاً عظيماً أو صاحب بطولات، لكن الأمر عبارة عن إحتياج لتبادل الفرح والشجن بين المشجع وفريقه، فالمشجع في الهند مثلاً يشجع واحداً من أضعف منتخبات العالم ويعرف أن فريقه لن يصل لشيء في أي يوم من الأيام، كذلك الأمر في اليمن وماليزيا ومصر بوركينا فاسو، إذ من المعروف أن المنتخبات والأندية العربية والأفريقية والآسيوية هي في العموم من فرق المستوى الرابع يعني عبارة عن حصالة للأهداف بالنسبة للفرق الأخري إذا لعبت في بطولة كبرى، ومع ذلك يذهب وراءها المشجعون أملاً في اقتناص لحظات فرح يتيهون بها على مشجعي فرق مَوْكوسة مثلهم!

كل هذا أعرفه ومع ذلك وجدت نفسي وقد تحولت إلى شخص لا يريد مشاهدة سوى المباريات الجميلة في البطولات الكبرى، ومعنى هذا أنني أصبحت متفرجاً محايداً، لم يعد هناك نادٍ معين يحظى

بتشجيعي، وبالتالى ما الداعي لمتابعة مباراة بين الأهلي وتليفونات منية النصر أو بين الزمالك وقناطر نجع حمادي؟

هل هو تعبير عن نقص في منسوب الولاء للهراء؟ أعتقد أنه كذلك، وأظن أنني أصبحت أنفر من كل ما هوغليظ في الحياة.. مسلسلات التليفزيون وبرامج التوك شو وجلسات البرلمان وقبل هذا كله مباريات كرة القدم وما يحيط بها من لاعبين نُص لبة ورؤساء أندية منهم بلطجية بمعني الكلمة وأستوديو تحليلي بذيء يهيمن عليه الزلنطحية والأرزقية وأداء باهت في الملعب يعكس نفسه في البرامج التي تسهر أحياناً حتى الفجر تحلل مباراة ليس بها لعبة واحدة حلوة!.. كل هذا يعبر عن حالة من المتعة الغليظة لم أعد أقبلها، بالضبط مثلما لا أستطيع أن أشاهد عرضاً مسرحياً يجلب الضحك من خلال الضرب على القفا!. لم يعد الإنتساب للجموع يمنحني الأمان.. بالعكس أصبح يخيفني، وأصبح تعبئة الناس في قوالب ورصها في زجاجات يدفعني للهروب بعيداً عن صخب هؤلاء وضجيجهم واحتفالاتهم الوحشية!

لقد بت أعتقد أن منسوب الغلظة والجلافة يرتفع كلما قل المستوي الفني في الملعب، خاصة إذا صاحب هذا شُح السُكّر في الأسواق مع أرتفاع سعر الدولار.. وأتصور أن مباريات الكرة الخالية من فنون الكرة يمكن أن يتم أثناءها إغتصاب إحدي المشجعات في المدرج بينما مَن يجلسون إلى جوارها يطالبون بضربة جزاء ولا يلتفتون إلى صراخ أختهم!

منذ أصبحت محايداً فقدتُ سمات المحبين والعشاق الذين يضخمون مزايا الحبيب ويغفرون أخطاءه حتى لو كسر قلوبهم مرة ومرات.

الغلظة هي التي جعلتني أنفر من الكرة المحلية وأنظر لمشجعيها بدهشة وكأنهم أجانب يشاهدون مباراة في الرجبي، بينهم غريب ذاهل لا يفهم ما بال هؤلاء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متدينون.. وسفلة

اجعل حذرك من الشخص المتدين مضاعفاً، لأنه قد يؤذيك ببساطة وهو يرجو عفو اللـه!
إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس.. اظلمهم، وبعدين اطلع اعمل عمرة مثلما يفعل الجميع!
عبد العاطي تقدم بطلبات هجرة لخمسين دولة، ولم تقبله سوى ولاية ناجبور الهندية معقل طائفة السيخ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الديــوث القـذر

س: ألو.. الديوث الوضيع؟
ص: معاك يا أفندم.
س: كيفك يا ابن النصابة؟
ص: بخير طول ما سعادتك راضي عني.
س: نحتاجك في موضوع بسيط.
ص: تؤمرني يا ريس.
س: محتاجين فتوي تقول فيها إن المرء إذا تعرض لهجوم من مجرمين أرادوا أن يغتصبوا زوجته فإن صحيح الدين يحتم عليه أن يتركها لهم وينفد بجلده!
ص: بسيطة يا أفندم.. بكرة أنتعهم فتوي تجعل كل رجل يتمني مرضاة اللـه من خلال الدياثة والخنوع.
س: هاهاه.. أنت طبعاً متعود على هذه الأشياء؟
ص: طبعاً سعادتك.. لقد أسلمتهم الولية بمجرد أن طلبوها مني لأن حفظ النفس مقدّم على حفظ الولية!
س: برافو يا واطي.
بعد أسبوع.. س: ألو.. الديوث اللعين؟
ص: أهلاً يا باشا.
س: اوعي تكون بتزعل من اللقب الذي خلعناه عليك؟
ص: هذا شرف سعادتك، وكفاية أننا نخدم الوطن تحت رعايتك.
س: قل لي أيها القذر.. ما أخبار المواطنين؟
ص: كله مبسوط سعادتك، فقد أراحتهم فتوي الأسبوع الماضي من المقاومة وتكاليفها وجعلتهم يدركون أن طاعتكم لا تكفل لهم السلامة فقط وإنما تدخلهم الجنة أيضاً.
س: وأنت.. هل تشاركهم قناعتهم أم تراك تطيع الأوامر خوفاً من بطشنا؟
ص: يا أفندم نحن نخدم بحب وبهذا نختلف عن الآخرين الذين يخدمون بالإكراه.. هذا دور نحن مؤهلون له، وما توفيقي إلا باللـه!
س: هاهاها.. طب اسمع.. نحتاجك أن تحدث الناس عن فضل الحرامي الشبعان وكيف أنّ من الأفضل أن نعتمد عليه بدلاً من المجازفة بتجريب الفقراء في المواقع الكبري، لأن الناس كلهم منحرفون كما تعلم، واللص الشبعان أفضل من اللص الجائع.
ص: تمام سعادتك.. اعتبر الموضوع منتهي.. من الغد ستخرج مظاهرات ترحب بالحرامية. س: ليس إلى هذا الحد.. نريدهم فقط ألا يتحدثوا كثيراً عن الفساد والفاسدين لأن هذه الموضوعات تسبب البلبلة.. والبلبلة كما تعلم أشد من النفخ!
ص: هل هناك ما هو أشد من النفخ يا باشا؟.
س: أنت جربت النفخ وتعرف هوله، لكن البلبلة أفظع منه.
ص: طبعاً سعادتك، وهذه الأشياء كلها مذكورة في القرآن!

س: ليست كلها مذكورة في القرآن فبعضها من إبداعاتنا.
ص: اترك لي سعادتك عملية الإخراج لأني أعرف أحاديث مدسوسة وإسرائيليات تدعم كل المواقف والأفكار النبيلة التي تبغون من وراءها خير الوطن.
بعد أسبوع.. س: ألو.. الديوث البائس؟
ص: خدامك يا باشا.
س: الجماعة مبسوطين منك جداً، وطبعاً أنت عارف أن غيرك من الأوساخ يتمنون أن يعملوا معنا.
ص: أنا ابنكم الوفي ويكفيني رضاكم.
س: اسمع.. نريدك أن تحدث الناس هذا الأسبوع عن خطورة الأكل والشرب على الصحة وعلى القدرة الجنسية بالذات.
ص: الأكل كله أم أصناف معينة؟.
س: الأكل كله يا حيوان حتى لا يشكو أحد من غلاء الأسعار.. حاول تفهمهم فوائد الزهد والتعفف.
ص: أبشر سعادتك.. عندي زاد وافر من الأحاديث وسير الأنبياء والصالحين وكلهم كانوا من الزهاد المتعففين.
س: أيوة عليك نور.. وبمناسبة النور.. قل لهم إن الرسول..
ص: عليه الصلاة والسلام.
س: أيوة يا عين أمك عليه الصلاة والسلام.. قل لهم إنه نشر الدعوة بدون نور وأقام الدولة الإسلامية بدون كهرباء أو مولدات.. الصيف داخل وانقطاع الكهرباء سيمثل مادة لإثارة الفتنة.
ص: وقانا اللـه يا باشا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.. لكن بالمناسبة يا ريس أليس لي عندكم مكافأة بعد كل ما أفعله من أجل الوطن؟
س: مكافأتك أننا نتركك تعيش يا روح أمك.. فاهم ولا لأ؟.
ص: فاهم يا عمي وسيدي وتاج راسي.
س: مع السلامة يا وسخ!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فتوى داعشية متوحشة

شاهدت على قناة الحياة جزءاً من حلقة دينية قدمتها الدكتورة سعاد صالح أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر.. هذا الجزء شاع على الإنترنت وتناقلته مواقع التواصل لخطورة ما جاء فيه.
قالت الأستاذة سعاد إنه في الحرب بين المسلمين وبين أعدائهم يجوز للقائد المسلم وجنوده أن يأخذوا النساء والفتيات الأسيرات وأن يستمتعوا بهن مثلما يستمتع الرجل بزوجاته، وذلك بغرض إذلالهن وكسر نفوس الرجال!.
ما سبق ليس نكتة، لكن الترويج لجريمة الحرب هذه والتي عقوبتها الإعدام صدر على لسان أستاذة أزهرية يأخذ منها المسلمون دينهم الذي فيه صلاح أمرهم، فاللهم لطفك وغوثك ورحمتك!.. لم تشفق سعاد صالح على بنات جنسها من أن يغتصبهن الرجال ويفتكوا بأجسادهن البريئة لمجرد أن رجالهم قد هزموا في المعركة. ما الفرق بين هذا الفكر وبين ما ينفذه تنظيم داعش؟ لا فرق، هم يفعلون ما تنادي به الست سعاد بالضبط، والأنكي أنهم يفعلونه مع بنات المسلمين لأن داعش لا تحارب سوي المسلمين، وحتى لو فعلوه مع غير المسلمين فإن اللـه لن يعفي سعاد صالح وأمثالها من الوزر لأنهم هم الذين أقنعوا الشباب المهووس بأن الجهاد جميل وأن غنائمه تتضمن المُزز بكل أنواعها ثيّبات وأبكاراً وأطفالاً وعلى كل لون!. هذه الفتوى المجنونة تعني ببساطة أن تكون ربة البيت العفيفة جالسة في بيتها تحيك الملابس وتطبخ الطعام وتذاكر للأطفال وتشاهد التليفزيون في أمان اللـه فيدخل عليها المسلم المنتصر ويحملها ومعها بناتها إلى داره فيشرع في إغتصابهن بالدور، فيمسك الأم ويقوم بتمزيق ملابسها لأنها لن تستسلم له بسهولة، ثم يقوم بضربها لأنها ستقاومه وستعضه وتقذفه بما تطاله يديها، فما يكون منه إلا أن يهشم وجهها باللكمات، ثم بعد أن يخمد حركتها يضع السكين على رقبتها قبل أن يعتليها ويشرع في إغتصابها وهي غارقة في الدماء وسط صراخها وصراخ بناتها. هل يحب أحد أن أكمل بقية المشاهد فأروي له ما يفعله بالبنت الكبري ثم التي تليها والتي تليها أم إنكم اكتفيتم من الهَول السابق؟.
الغريب أن الأخت سعاد صالح تسمي فيلم الرعب هذا استمتاع!.. إن الحيوان فقط هو الذي يستطيع أن يستمتع بنهش الفرائس، أما الإنسان فلا يستطيع أن يفكر فيما تدعوه إليه الأستاذة الأزهرية. إن هناك حجة حاضرة لدي أصحاب هذا الهراء وهي أن الأعداء قد يفعلون بنا هذا فيجب أن نرد عليهم بالمثل لردعهم. أولاً الدنيا تغيرت وقوانين العصور السحيقة لم تعد موجودة بعد نشأة القانون الدولي. ثانياً: أولي بمن كانوا مثلنا من المهزومين الدائمين الذين تتالى عليهم الإحتلال تلو الإحتلال أن يُخفوا مثل هذه الفتاوي ولا يجاهروا بها حتى لا يسمعها الأعداء فتكون مصيبة. نحن لم ننتصر على أي عدو خارجي منذ ألف عام، فقد لقينا الهزيمة على يد المغول والعثمانيين والفرنسيين والإنجليز والإسرائيليين والأمريكان.. فهل تحب سعاد صالح أن يطبقوا شريعتها عليها وعلى بناتها؟.. أما الذين يقولون بأن هذا الكلام يجوز للمسلمين ولا يجوز لغيرهم لأنهم أصحاب الدين الحق فأولي بهم أن يشكروا الإسرائيليين الذين مرغوا كرامة الرجال في الطين لكن لم يغتصبوا النساء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ورق تواليت

رمضان هو شهر الكرم والجود، شهر البر والإحسان، شهر التعبد والروحانيات.. هكذا أراد اللـه له أن يكون، لكن الحقيقية أنه صار على أيدينا شهراً للهجايص والتخاريف الملتحفة برداء الدين على يد رجال الدين. لقد انتشرت على النت فتوي غريبة صدرت عن أحد الشيوخ يجيب فيها على سؤال سخيف لأحد الأنطاع يسأل فيه عن حُكم استخدام الشطاف في نهار رمضان.. آه واللـه.. السائل العبيط وجد في نفسه الجرأة ليتقدم بسؤال كهذا، أما الأعجب فهو أن جهة الفتوي بدلاً من أن تنهر الرجل وتطالبه بأن يحترم نفسه ويستخدم عقله ويسأل سؤالاً خاصاً بالعقلاء لا المجانين، فإنها تعاملت مع السؤال بجدية وأفتت بأن استخدام الشطاف لا ينال من الصيام بشرط التأكد من عدم إدخال الماء إلى المعدة!!

أي شطاف هذا الذي يدفع بالماء إلى المعدة؟ إن الرجل لم يسأل عن حُكم مدفع الماء الذي هدمنا به الساتر الترابي في حرب أكتوبر ولا هو سأل عن حُكم الحقنة الشرجية، لكن السؤال الخائب كان عن حكم استخدام الشطاف. لقد كنت أتميز من الغيظ طوال سنوات عمري من الأسئلة التي تنهال على رؤوسنا ومعها إجاباتها النموذجية كل سنة في شهر رمضان عمن ابتلع ورقة، والآخر الذي ابتلع ريشة، والثالث الذي بلع ريقه.. الخ هذه الأسئلة التي أصبحت فقرة ثابتة من فقرات الشهر الكريم، وكنت أقول إن الشيوخ يسترزقون ويحصلون على الشهرة والمال بفضل المختلين عقلياً وأسئلتهم العبيطة، لهذا فإنه ليس من مصلحتهم أن يعتدل الناس ويقولوا قولاً حسناً. بعد ذلك عرفت أن السلطة شريكة في هذا الهراء وتشجع عليه لأنه من الأفضل أن يسأل الناس عن حكم غسيل الرأس بالشامبو في رمضان وحكم شم الدوكو، وذلك بدلاً من أن يصحو الناس وينتبهوا فيسألون عن حكم كذب السياسيين على شعوبهم وعن الرأي الشرعي في تبديد المال العام وعن موقف الدين من تعذيب المساجين. الخلاصة أن الجميع توافق على تمرير الهراء وإشاعته بين الناس، ومع ذلك فقد أرادوا أن يجددوا في الأمر لأن الهراء أيضاً يحتاج إلى تحديث وتطوير حتى لا يسأم الناس، وأتصور أن عقولاً ماكرة قد سهرت الليالى وقدحت الزناد حتى توصلت للسؤال الجديد عن جواز استخدام الشطاف في نهار رمضان، ثم قامت بترويجه بين العباد حتى تلقفه أحدهم وأرسل به إلى الشيوخ الذين تسلموه بفرحة وشوق لأنه يعطي الفرصة لفضيلة الشيخ ليصول ويجول، وقد يحدثنا أحدهم عن أنواع الشطافات وكيفية التمييز بينها ويوضح لنا فضل التركي عن الصيني أو فضل المحلي عن المستورد، ذلك أن المحلي ضعيف ويدفع الماء ببطء بما لا يسمح للماء أن يعبر فتحة الشرج ويدلف إلى المستقيم والأمعاء والإثنا عشر قبل أن يدخل على المعدة ليبللها ويطرطش داخلها مفسداً صوم حضرة الأخ المؤمن الذي يريد لصيامه أن يتم على خير.. ومن يدري ربما ظهر شيخ حداثي يوصي الناس باستخدام الورق بدلاً من الماء مثلما يفعلون في الغرب ويوضح لهم أن الناس في أوروبا والدول المتقدمة أحرص منا على درء الشبهات لهذا فإنهم يتقّونها بورق تواليت!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الـحفريات

يصادف المرء أثناء تنقله في أوروبا وأمريكا أنواعاً من البشر غير مألوفة بالنسبة له، فقد تصادفه عائلة كبيرة تسير بالشارع مكونة من رجال ونساء وشباب وفتيات وأطفال جميعهم لهم هيئة مختلفة عن بقية الناس، فشعورهم طويلة ولهم ضفائر مدلاة على الآذان ويعتمرون قلنسوات بأشكال موحدة.. تسأل من هؤلاء فتعرف أنهم طائفة من اليهود تسمي الحريديم وهم من اليهود الأصوليين الذين يخاصمون الحداثة ويعيشون حياة توراتية ليس بها من مظاهر المدنية الكثير، وهم يرفضون دخول الجيش في أي بلد يعيشون به ويفصلون تماماً بين الذكور والإناث منذ الصغر، ومن عاداتهم التعجيل بالزواج المبكر ولا يؤمنون بتحديد النسل ولذلك فالعائلات كبيرة تضم في العادة عشرة أبناء على الأقل.

وفي بنسلفانيا قد تقودك خطاك إلى واحدة من مناطق يعيش بها الأميش وهم طائفة مسيحية أصولية تستلهم تعاليمها من الإنجيل بحذافيره وهم لا يؤمنون بالكهرباء لأنها ستقودهم حتماً للحياة المليئة بالمغريات كما لا يستخدمون العملات الورقية، ويتخذون من العربة والحصان وسيلة للتنقل. البنات البالغات والنساء عند الأميش يلبسن زياً محافظاً له أكمام طويلة وهن محجبات ولا يسمح لهن بقص شعورهن أبداً، والرجال يطيلون اللحي ولا يحلقونها مدي الحياة بينما يحلقون الشوارب. الأميش لديهم فتوي إنجيلية تحرم التصوير كما أن لديهم فتوي أخري تحرم الموسيقي والغناء. الرجال يعملون في الغالب بالزراعة والفتيات يتعلمن مبكراً الحرف اليدوية من حياكة وتطريز وطبخ.

وفي كندا يمكن بسهولة الوصول للمعازل أو المحميات التي يعيش بها السكان الأصليون على أطراف مونتريال وكذلك بمناطق عديدة من أونتاريو وجنوب ألبرتا، وأماكنهم التي ما زالوا يفضلونها أقرب للبدائية بالمنظور الحداثي لكنها تحقق لسكانها الراحة والأمان والبعد عن الحياة الحديثة بمتاعبها ومخاطرها.

الغرض من العرض السابق هو أن نقول إن الحفريات البشرية في بلادنا من المنغلقين وأصحاب الهيئات الغريبة له ما يماثله في بلاد برة، وأن شخصيات مثل برهاني وحسان والبوريشي والحويحي إلخ هذه الكائنات الأشكيفية ليست بدعة في حد ذاتها، لكن لها أشباه في الغرب، ولكن الديموقراطيات الغربية قد استوعبتهم ولم تأخذ منهم موقف العداء رغم أنهم تعرضوا لمذابح في القرون الماضية قبل ظهور الدولة الحديثة التي تسمح بالتعدد وتؤمن بالعيش المشترك وتأمين الحماية لكل الناس بصرف النظر عما يعتقدونه. لكن في الحقيقة هناك فروق بين أولئك في الغرب وهؤلاء في بلادنا، مثل أن المجتمعات القوية العفية تستطيع أن تحتمل هؤلاء على غرابتهم دون أن تنهار، والفرق أيضاً أن الحفريات العربية تتخذ من الدين وسيلة للإنتشار والتكاثر وتحصل على حصانة مجتمعية يوفرها جهل الناس وخيبتهم القوية، والفرق كذلك يأتي من أن اليهود الحريديم والأمريكان الأميش والكنديون الأصليون يؤمنون حقاً بالحياة التي يعيشونها وليس بينهم نصابون يدعون الناس للتقشف بينما يعيشون حياة السلاطين، ولا يسعون لتدجين الناس وتحويلهم إلى قطعان من الماشية تطيع السلطة مهما فجرت، كما أن الأميش والحريديم والهنود الحمر ليسوا عملاء لأجهزة الأمن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

هلـمّوا إلى الجبلايـة

انسحب السياح الروس من الغردقة وشرم الشيخ فأظلمت المدينتان أو كادتا، وكنت قد لاحظت في السنوات الأخيرة ظاهرة لم نعرفها من قبل في مصر وهي أن لافتات المحلات جميعاً في المدن على شواطيء البحر الأحمر قد كُتبت باللغة الروسية إلى جانب العربية، وأحياناً بالروسية فقط باعتبار أن المحل مفتوح لأجل الروس فقط. وتكمن غرابة الظاهرة في أننا في ذروة سنوات حرب الاستنزاف واعتمادنا على الروس في الدفاع عن العمق المصري، وفي سنوات الإمتنان المستحق لم نر اللغة الروسية مكتوبة على أي منشأة.. لكن يبدو أن لقمة العيش لها الغلبة على أي اعتبار آخر.

لم ينسحب السياح الروس فقط، لكن رحل البريطانيون وتلاهم الأمريكان والهولنديون والطلاينة وأقفرت المنتجعات وأطفئت أنوار الفنادق وخلت الأسواق من مرتاديها. المشكلة أننا في السنوات الثلاثين الأخيرة أصبحنا نعتمد بشكل أساسي على السياحة بعد أن دمّر الجراد الحاكم الصناعة وباعوا المصانع للمجرمين من شركائهم، وكذلك بعد أن خربوا الزراعة وبوّروا الأرض الزراعية. لقد بُح صوتنا وصوت غيرنا لنعلّمهم أن السياحة لا تستطيع أن تقوم بدور حقيقي في التنمية، لكون الحنفية موجودة خارج بلادنا وفي أيدي لا نملك سوي تقبيلها، وكذلك لأن طلقة طائشة من إرهابي عقور يمكن أن تخرب بيوت ملايين المصريين.. لكن نطعاً لم يستمع لما كنا نحذر منه.. وها قد وقعت الواقعة ووجدنا أنفسنا في موقف صعب للغاية، فماذا فعلنا؟

الحق أننا لم نقصّر، فقد قمنا بعمل حملات فكاهية لإنعاش السياحة من جديد في المدن التي أظلمت، فقمنا بشحن مجموعة من الوزراء إلى شرم الشيخ وصورناهم في المطار وهم يخلعون ستراتهم ويخضعون للتفتيش الصارم، وهو الأمر الذي ظنوا أنه يطمئن البريطانيين والروس وسائر الكروديات الباحثين عن منتجعات شتوية آمنة!. حقاً كان المنظر مثيراً للمرح والسادة الوزراء يمتثلون في خضوع كاذب للتفتيش وفتح الحقائب وكأنهم ركاب حقيقيون في دولة بجد!.. ليس هذا فقط وإنما رأينا أفواجاً من الفنانين الجاهزين تحت الطلب وهم يهرعون إلى أرض الفيروز في تلبية لنداء الوطن ويقومون بالتقاط الصور حتى يراها الروسي المتردد والبريطاني المنسحب فيعودان إكراماً لخاطر مايوه مادلين طبر وسوتيان سنية ماكلين!

الألطف مما سبق هو المبادرة التي رأينا فيها شيوخاً معممين يصطفون في استقبال الزائرين بالمطار وفي يد كل منهم وردة كبادرة حسن استقبال لكل من تعطف علينا وأتي من الأجانب والمصريين على السواء.. ولن أسأل عن جدوي وجود الشيوخ في منتجع قائم أساساً على الاستلقاء تحت الشمس بالبكيني، كما لن أسأل عمن تحمّل مصاريف إقامة الشيوخ وأكلهم وشربهم وبدل سفرهم، لكني فقط أود أن أسأل كل صاحب نظر عن رأيه فيما لو سافر إلى الخارج من أجل السهر والسمر والإنطلاق والتحرر واكتساب اللون البرونزي فإذا به يجد في انتظاره بالمطار رتلاً من القساوسة والحاخامات بلحاهم الكثيفة وملابسهم السوداء وفي يد كل منهم زنبقة أو زهرة ليلك يقدمها له.. لو أنني في هذا الموقف لاستولي على الرعب من المنظر ولشككت في هؤلاء الناس ونواياهم.

يبقي السؤال: أيهما أفضل.. أن تحصل على الطعام بعد أن تتحول إلى قرد، أم أن تظل إنساناً جائعاً؟.. والحق أنني لا أعرف الإجابة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

دخول الجنة من المنوَر!

من الأشياء التي منحت الغرب اليد العليا في مجالات البحث والفكر والتطور الإنساني أن كل الأفكار تجد أوعية لاحتوائها والتفاعل معها، إما بتطويرها وتنقيحها للاستفادة منها، وإما نبذها وتسريبها لتخرج مع مواسير الصرف. أما في الشرق العربي فإنه لم يظهر لدينا فلاسفة ولا علماء أو مفكرين يعتد بهم بسبب الخوف.. الخوف من إغضاب السلطة أو خشية التكفير من العوام الذين تشجعهم السلطة على محاربة العقل. وليس المفكرون فقط الذين يحاصرون أنفسهم بأنفسهم ويقمعون نتاج تأملاتهم وقراءاتهم، ولكن المثقف العادي الذي كان يُفترض أن يكون مؤثراً في محيطه ينسحب ويتراجع بسبب ارتفاع أمواج الخرافة والشعوذة وغلبة تأثيراتها على الناس لدرجة أن العقلاء لا يستطيعون طرح رأياً عادياً في أي موضوع، وعلى سبيل المثال لا الحصر كثرت الأقوال الخزعبلية بعد حادث مني وحادث سقوط الرافعة في الحرم اللذين أديا إلى مقتل وإصابة الآلاف من الحجاج من كل الدول الإسلامية.. كثرت الأصوات التي كادت تشكر السلطات السعودية لأنها بإهمال مسؤولي الحج فيها وأخطائهم الواضحة منحت حجاج بيت اللـه الحرام ميتة مباركة رائعة في أيام مفترجة ودفعت بهم إلى جنة الخلد!.. لا أتحدث عن موقف السلطات الحاكمة في العالم العربي التي لا يهمها موت مواطنيها وتخشي إغضاب السعودية صاحبة اليد المتفضلة التي تطعم الأفواه، لدرجة أن إيران وحدها هي التي احتجت لقتل حجاجها وطالبت بتحقيق جاد وشفاف في أسباب الكارثة منعاً لتكرار حدوثها، ولئن كان الصراع السياسي بين إيران والسعودية سبباً إضافياً للغضبة الإيرانية العارمة، فإن الحق لا يصير باطلاً لمجرد أن إيران هي التي تطالب به!.. لا أتحدث عن موقف السلطات الحاكمة، لكني أتحدث عن المواطن العادي الذي أبدي قدراً من الغبطة ولا أقول الحسد للذين أسعدهم زمانهم فسحقت الرافعة رؤوسهم أو ماتوا دهساً تحت الأقدام. وإذا حاول صوت طبيعي أن يقول يا قوم: إن الناس تدخل الجنة بأفعالها وليس بمكان الوفاة أو تاريخها.. بمعني أن الموت في مكة هو نفسه الموت في باريس، والموت في رمضان هو نفسه الموت في شوال، ودخول الجنة يحتاج للعمل الدؤوب لا للمصادفات السعيدة.. لو حاول أحد أن يقول هذا فإن الناس يهمون بالفتك به. الناس تفضّل أن تعتقد أن هناك أبواباً أخري لدخول الجنة بخلاف العمل الصالح هرباً من تبعات النظافة والنزاهة والشهامة والوفاء، ويرتاحون لفكرة ضربة الحظ التي تحملك إلى الفردوس!. بطبيعة الحال مسائل الجنة والنار ومن يدخل هنا ومن يدخل هناك علمها عند ربي، لكن اللـه أوضح لنا هذه المسألة التي لم يختلف عليها أي دين، ولئن كان يمكن الاستشهاد بأحاديث عن حسن الخاتمة، فإنني أتصورها تعني الصالحين والأخيار ولا تقصد الأشرار الذين يمكن للواحد منهم أن يموت داخل مسجد، وما أكثر الأشرار الذين تعج بهم المساجد في بلادنا الطافحة بالفساد!. أستطيع طبعاً أن أتفهم أن يقوم الناس بتعزية أهل الضحية وبثه كلمتين طيبتين عن المرحوم الذي مات في أيام مفترجة في مكان كريم وبالتالى فمصيره الجنة، على أن يكون هذا في إطار المجاملة، لا تعبيراً عن قناعة حقيقية، لأن الاعتقاد بهذا يضرب كل ما أتت به الأديان والشرائع، فضلاً عن مساعدته على دفع الناس لشكر المتسبب في الكارثة بدلاً من محاسبته!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

لن تستطيعَ معي صبرا

يمكنني أن أغفر لك خطأك في حقي، لكني لا أغفر لوالديك إخفاقهما في تربيتك!
الجبناء هم أكثر الناس إعجاباً بالشر، ولا يمنعهم من المجاهرة بهذا الإعجاب سوى جبنهم!
أعداء عبد العاطي ثلاثة: الزمن والمسافة.. وأبو شقرة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على طريق الطائف

أدلي الأستاذ يوسف زيدان مؤخراً بأحاديث أثارت لغطاً كثيراً عندما تناول بدون مناسبة وضعية المسجد الأقصي الذي يحظي بأهمية كبري في نفوس المسلمين. قال زيدان إن المسجد الموجود بالقدس والذي تسعي إسرائيل لحلحلته وهدمه منذ عقود ليس هو المسجد الأقصي، وذكر أن المسجد الذي تهفو إليه الأفئدة ويدافع عنه الفلسطينيون بأرواحهم ليس مقدساً ولا يحزنون، ذلك أن المسجد الأقصي الحقيقي الذي ورد ذكره في سورة الإسراء يقع على طريق الطائف.. وساق زيدان للتدليل على نظريته ما ارتآه أدلة على صحة ما يقول، وهو الأمر الذي أوقع الناس في حيرة وجعلهم لا يفهمون أسباب هذا الكلام العجيب أو دواعيه.

في واقع الحال لست أهتم بما إذا كانت معلومات زيدان في هذا الصدد تمثل الحقيقة أم لا، كما أنني لست على استعداد لأن أنشغل بهذا الأمر التافه.. نعم التافه، لأنه ببساطة يشبه أن يقوم أحد البلطجية باقتحام شقة أخيك واحتلالها، ثم نفاجأ بسيادتك تخرج على الناس لتعلن لهم أن النجفة المعلقة بصالة الشقة والتي صارت في حوزة البلطجي ليست مصنوعة من الماس وإنما هي ماركة كريستال عصفور!.. ماذا يعنينا إذا كانت النجفة من بوهيميا أو من درب البرابرة إذا كانت في كل الأحوال ملكاً لنا؟ وهل التقليل من قيمة النجفة مقصود به التهوين من الجريمة التي ارتكبها البلطجي بحق الشقيق.. هل هذا هو المقصود؟. أما بالنسبة للمسجد الأقصي الذي بشرنا زيدان بوجوده على طريق مكة ـ الطائف فإنني أهيب بالإخوة السعوديين القاطنين بهذه المنطقة أن يفيدونا لماذا أخفوا عنا طوال القرون الماضية حقيقة قبوع المسجد الأقصي بين ظهرانيهم دون أن يخبرونا بوجوده، على الأقل لمنحه ما يستحق من تقديس وزيارات تجلب البركة لنا وتدر البنكنوت على أهل المنطقة!

لقد قيل كلام كثير عن أن يوسف زيدان يسعي برسالته هذه إلى نيل رضا إسرائيل، بتصور أن كلامه الذي يريح الصهاينة قد يقرّب إليه جائزة نوبل، لكني لا أميل لتصديق هذا النوع من الإفتراءات بحق الرجل، لأنه هو نفسه يعلم أن نوبل في الأدب قد تخرج أحياناً وبها رائحة السياسة، إلا أن حداً ضرورياً من التميز الأدبي لا بد أن يكون متوفراً في من تذهب إليه الجائزة!. ولقد وصل البعض إلى أن زيدان يريد أن ينزع القداسة عن المسجد الأقصي الذي يعرفه المسلمون بالقدس حتى يتم تفكيك آخر ما يربطنا بقضية فلسطين، إذ تصبح الأرض المحتلة حينئذ أرضاً متنازعاً عليها بين طرفين لا نعلم أيهما على حق، وقد يكون ابن العم الإسرائيلي هو صاحبها ونحن لا ندري مثلما ظللنا دهوراً لا ندري أن الحرم القدسي لا حرمة استثنائية له إلا بسبب الجهل واعتناق الخرافة!.

لست أجزم إذا كان يوسف زيدان يقصد شيئاً من هذا، لكنه فتح الباب لخصومه ليتقولوا عليه ويطعنوا في أهدافه، ومع كلٍ فمن المعلوم أن الفلسطينيين سيدافعون عن أرضهم المحتلة حتى لو لم تكن لها قدسية دينية، كما فعل الجزائريون ضد الإحتلال الفرنسي ودفعوا مليون شهيداً دون أن يكون بأرضهم أقصي أو أدني، وكما حارب شعب فييتنام الفرنسيين ثم الأمريكان وملأوا بدمائهم نهر الميكونج دون أن يكون لهذا النهر قداسة لديهم.. لكن ربما يكون من عوامل النصر المؤزر للفييتناميين أنه لم يوجد لديهم أديب حاول إقناعهم أن نهر الميكونج الحقيقي الجدير بالحب والنُصرة يوجد على طريق الطائف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مـريض الطبقة الوسطي

كان المريض يتلوي من الألم ومن حوله جلس أبناؤه يتداولون فيما يجب فعله. لقد طال المرض وتعددت نوباته ولا يبدو أن هناك أملاً في التحسن.. لكن مهلاً، هل يعني هذا أن يضحوا بالأب أو يتعجلوا موته حتى يتخلصوا من عبء خدمته والإنفاق على أدويته وتحاليله واشعاته وذهابه للمستشفي من وقت لآخر طوال السنوات الماضية؟. لا لن يفعلوا وسيظلون يرعونه حتى ينفذ قضاء اللـه. مع ذلك فإن حماسهم فتر وأيديهم ارتخت وقناعتهم بمداومة تطبيب العجوز صارت أقرب للقناعة اللفظية.

العجوز يرقب في صمت.. لا هو سعيد بالإهتمام إذا ناله ولا مستاء من التقصير إن شعر به، لكن خلاياه تعرف الفرق بين تقديم الدواء بقلب مفعم بالأمل في الشفاء وبين تقديمه بنفسٍ ضائقةٍ ملولة، وهو يستغرب الحياة التي طالت ويشفق على نفسه من مجيء اليوم الذي يلعنه فيه الجميع متساءلين ما الذي يبقيه حتى الآن؟ وكأنه هو الذي يُبقي نفسه!.. إنه لا يرجو إلا أن تقل الآلام وتهدأ النوبات.. الغريب أنه لا يشعر برغبة في الموت كما قد يتبادر للذهن بالنسبة لمن هم في مثل سنه وحالته، فهو ما إن تسري الإبرة المسكنة حتى يجد نفسه يضغط على الريموت ليتابع المسلسل التركي.. الرجل يخشى أن يأتيه الموت قبل أن يعرف نهاية قصة فاطمة!.

اليوم بعد أن طلب الأبناء الطبيب بالتليفون لأبيهم جلسوا فيما يشبه ورشة عصف ذهني يتداولون في شأن الفيزيتة وكيف سيدفعونها، وكادوا يصلون لدرجة الاحتراب لمجرد اقتراح بتقسيمها بالتساوي!. إن الطبيب الجشع أصبح يرفع أجرته بمعدل كل شهرين، ومداومتهم على الذهاب إليه لسنوات جعلتهم يتابعون مؤشر صعوده ومراكمته للبنكنوت، وإذا كان هذا هو الشأن في الفيزيتا الخاصة بالذهاب إليه في عيادته، فكيف باستدعائه إلى البيت وهو المتعجرف، القرفان من الكون لدرجة الاشمئزاز!.

في الطريق إلى بيت المريض كان الطبيب نصف المشهور يتأرجح بسيارته الجديدة في الشوارع المزدحمة.. يدخل في شارع ويخرج منه والزحام هو هو، كأنه لا توجد ساعة ذروة بهذه المدينة، كان يفكر في العشاء الذي ينتظره مع الشلة ويريد ألا يتأخر عن الافتتاح حتى لا يلتهمون الكابوريا في غيابه.. هو يعرفهم لن يتركوا له سوي الجمبري الصغير كالمرة الماضية، ولا يريد كذلك أن تفوته وصلة الرقص التي ستحييها الممرضة الجديدة التي وعدهم النائب بإحضارها.. لعنة اللـه عليهم ولعنة اللـه على المريض السخيف الذي ما زال يتشبث بالحياة رغم أن أمثاله تجاوزوا مرحلة عذاب القبر بزمان.. سيبدأ طبعاً بالشكوي من المغص ومن وجع العظام وسلس البول وصداع الرأس.. لن يترك علة إلا وذكرها.. إنه يظنني الرجل الوطواط أو سبايدرمان القادر على حل كل المشاكل.. دعه في خبله، المهم هو الستمائة جنيه التي سيدفعها أهله وهم يظنون أنها تقربهم إلى اللـه!

الأبناء في غمرة ذعرهم من المبلغ الذي سيدفعونه للطبيب تركوا الأب يتألم ولم ينتبه أحدهم فيقدم له قرصاً مسكناً، والطبيب الذي نزل من السيارة وأخذ يقفز وسط برك الطين في الشارع الضيق ما زال يسب الدين للمريض ويفكر في الكابوريا. عجيب أمر الطبيب الذي يكره مرضاه ويتأفف منهم.. إنه لو استبعدنا الجانب الإنساني يشبه خباز ينعى تنّوره ويستعلى على الفرن الذي يطعمه.

ما أبأس المريض الذي يتشاجر أبناؤه بسبب مصاريف علاجه، في الوقت الذي يسعي الطبيب لإبقائه على قيد الحياة فقط لأن في ذلك فرصة لاستدعائه مرة أخري ونيل فيزيتا جديدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عقل جميل

في فيلم عقل جميل الذي قام ببطولته «راسل كرو» ومثل فيه دوراً عن قصة حقيقية لأستاذ جامعي فاز بجائزة نوبل في الرياضيات، قال كرو للفتاة التي أعجب بها في أول لقاء: هل يمكن أن تمضي معي إلى الفراش الآن وأن تتجاوزي عن الطريق المعتاد الذي يسلكه الناس عادة من كلام وغزل وخروج لاحتساء المشروب ثم دعوة على العشاء ورواية نكت وتسبيل أعين ثم بعد عدة أيام يتم المراد وتذهب الفتاة مع الفتي للفراش للقيام بما يريده الإثنان منذ البداية!.. طبعاً كان الرد على هذا العرض غير المهذب هو صفعة مدوية من الفتاة على وجه بطل الفيلم الذي أدي دور عالم عبقري لكنه مصاب بمرض عقلي وتسيطر عليه ضلالات وهلاوس.. وربما أن هذا الإختلال العقلي هو ما منحه الجسارة ليقدم العرض السابق للفتاة بهذا الشكل وهو الأمر الذي لا يفعله العقلاء أبداً.

في ظني أن بطل الفيلم عندما فعل هذا فإنه كعالِم عبقري تسيطر على ذهنه المعادلات الرياضية لم يكن لديه فائض من طاقة عقلية يمنحها لأي شيء آخر سوي العلم الغارق فيه حتى أذنيه، وعندما أراد أن يتصل بالجنس الآخر مدفوعاً بالعاطفة والغريزة فإنه لم يُرد إضاعة الوقت والجهد في مقدمات رآها سخيفة ومعطِلة، وأحب أن يلج إلى الخلاصة مباشرة حتى يتفرغ بعدها للنشاط الحقيقي الذي خُلق له.

والحقيقة أن المتأمل لهذه المسألة يجد أن البشر العاديين من غير العباقرة والموهوبين ليس لديهم ما يخسروه إذا ما أطالوا في المقدمات ومشوا معها على مهل، فهذا في حد ذاته طريف وممتع. بعد ذلك يصل الطرفان إلى غايتهما بالشكل والسياق الذي يسمح به المجتمع سواء من خلال علاقة زواج أو رفقة بدون زواج.. المهم أن العلاقة تأخذ مداها وتدرجها الطبيعي الذي يجعلها لائقة في أعينهما وعلى الأخص في عيني الفتاة. ويبدو أن المرأة تدرك بالفطرة أن هذه العملية مفصلية في علاقتها بالرجل، لذا فإنها لا تمنحه ما يريد بسهولة لإدراكها أن الرجل ما إن يقضي وطره حتى تبرد مشاعره وينصرف عنها، على عكس الأنثي التي يعني الأمر بالنسبة لها الكثير، فتتعلق بالرجل الذي منحته نفسها، وربما لهذا فإنها لا تُقدم على ذلك قبل أن تبني لها في قلب الرجل قلعة أو على الأقل عشة أو كوخاً صغيراً!.

ويبدو أن محاولة الإنسان الابتعاد عن السلوك الحيواني، مع ادعاء التحضر والمدنية قد اقتضت أن يتمهل في ابتلاع الطعام وأن يبدأ بالمضغ والطحن والهرس ثم البلع، واقتضت كذلك أن يتصنع اللطف مع الآخرين مهما كان كارهاً لهم، وربما أن هذه الرغبة في البعد عن البدائية في التصرف هي ما جعلته يبتكر مدونة للسلوك الراقي أسماها الإيتيكيت وقام بوضعها داخل حاوية أشمل هي البروتوكول.

ولكن رغم كل محاولات ترويض الإنسان لذاته يظل دائماً هناك الجانحون الراغبون في عبور المراحل بقفزة واحدة. مِن ضمن هؤلاء.. المتحرشون والمغتصبون الذين لا يملكون المهارات الإجتماعية التي تسمح بالإتصال والتواصل، وليس لديهم الصبر للمرور بالمراحل الطبيعية التي وضع بروتوكولها الأقدمون، ومنهم كذلك العلماء المجانين الذين يدخرون طاقة الخلايا داخل الدماغ

لما هو أهم وأجدي من علاقة عاطفية، كالعالِم العبقري «جون ناش» صاحب العقل الجميل الذي مثل شخصيته الفنان راسل كرو.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رُكّاب في الـجحيم

عجيبة ومثيرة مشاحنات سائقي الميكروباص مع زملائهم من نفس الفصيلة أو مع سائقي التاكسي أو حتى مع الركاب. هؤلاء السائقون ينتمون إلى مهنة جعلت لهم تصورات غريبة عن الكون.
في بعض الميكروباصات يجلس السائق والى جواره على نفس الكرسي يجلس التباع.. نعم السائق يجلس والى يساره يجلس مساعده الذي يتولي تحصيل الأجرة والنداء على الركاب، وطبعاً ضروري أنّ التباع يفتح جزءاً من الباب إلى يساره ليسمح لنصف جسمه المحشور بالتدلي خارجاً. سمعت أكثر من مرة المساعد يطلب من السائق أن يهديء من أجل انتشال ذلك الجنيه الذي يسير في الشارع!.. الشخص الواقف في الطريق ينتظر الميكروباص أصبح اسمه الجنيه، أو هكذا يرونه.. لقد أفقده السائقون اعتباره وجردوه من كينونته وأصبح بالنسبة لهم مجرد جنيه وهو ثمن التوصيلة الذي سيدفعه، لا يهم إذا كان موظفاً محترماً أو عاملاً ماهراً أو ربة منزل.. لا يهم، فكل واحد من هؤلاء هو جنيه يسعي في الأرض، والشاطر من السائقين هو من يفوز به!
سائق آخر كان يسير خلف زميل له فتوقف هذا فجأة وكاد يحدث بينهما اصطدام. قام السائق بسب زميله لأنه توقف دون إنذار، فرد الزميل له السباب ثم أوضح أنه توقف لالتقاط زبون. وهنا تنحنح السائق الأول ثم بصق في إتجاه زميله وهو يقول: طول عمرك رمرام ولا يمكن أن تتوب عن الرمرمة أبداً!.. طبعاً هذه الرمرمة لا معني لها إلا أن هؤلاء الركاب زبالة.. لقد سب الرجل الركاب الأبرياء لمجرد أنه تشاجر مع زميله!
سائق ثالث في منتهى الشراسة دخل في معركة حامية مع آخر لا يقل عنه غباوة على أسبقية التحميل. لقد طلب زميله منه أن يتخلي عن الركاب الذين صعدوا وجلسوا عنده لأن الدور دوره وهو أولى بهؤلاء الركاب.
نظر السائق الشرس لزميله وقال: هل تتصور أن أتخلي عن هؤلاء بعد أن صعدوا وجلسوا وتهيأوا للرحيل.. كيف أفعل هذا؟ هؤلاء ملكي ولا يمكن أن أتخلي عنهم وأتركهم لواحد مثلك!.. كان الركاب ينظرون لبعضهم البعض في دهشة تغلب عليها الاستكانة.. إنهم لا يفضّلون هذا أو ذاك، وكل ما يريدونه أن يتفق السائقان ثم يتفضل أحدهما بالتحرك. لم يقتنع السائق صاحب الدور وأصر على الإحتكام إلى أحد البلطجية الموجودين بالموقف، لكن البلطجي بدا أنه لم يصطبح وبالتالى لم يكن في مود عدالة، فما كان منه إلا أن سب الدين للسائقين والركاب ثم بصق وانصرف!
عاد السائق صاحب الحق للصياح من جديد، وهنا اضطر السائق الشرس إلى كشف كل أوراقه فقال: هؤلاء الركاب من حقي وأهوَن على أن أضعهم تحت جزمتي وأفرمهم ولا أعطيهم لك!.
قال السائق الآخر: تفرم مين يا جدع.. انت عبيط؟ فرد الشرس: يعني تحب أولّع لك فيهم بجاز حتى تصدقني؟!.. ليس هذا حواراً متخيلاً، لكنه حدث بالفعل وكنت شاهداً عليه.
إن السائق الذي نظر للراكب على أنه مجرد جنيه، والآخر الذي اعتبر الركاب زبالة كانا أكثر رحمة من هذا الذي رآهم ملكية خاصة ورثها عن الست والدته وبالتالى يحق له أن يضعهم تحت حذائه ويشعل فيهم النار. لك اللـه أيها المواطن الصابر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

إنـهم يحاربونك بأهلك!

ليست المشكلة في إعلامهم البذيء أنه يزيف الوعي ويخلط الأفكار ويربك الدماغ فيصير الطيب خبيثاً والخبيث طيباً، إنما المشكلة تفوق هذا بكثير. هناك جانب ممن يستقبلون الروث الإعلامي يملكون وعياً وقدرة على الفرز، فليس جميع الجمهور من النعاج التي تشاهد وهي تهز ذيلها، لكن يوجد متعلمون ومتنورون لديهم حصانة عقلية ولا يأكلون من الأونطة الساذجة التي يقدمها نفر من الجهلاء المتوحشين.. لكن المصيبة أن هؤلاء الفاهمين العارفين القادرين على التمييز لديهم مشكلة أخري، فحقيقة أن يدرك المرء أن الحَوَش الذين يطالعهم في التليفزيون هم في واقع الأمر كائنات شرسة تنفذ طلبات من يمسك اللجام.. حقيقة أن تدرك هذا قد لا تنجيك من التأثير السام لرسالتهم الإعلامية بأن يستقر في وعيك أن النطاعة والضمير الميت هي الوسائل الوحيدة الناجعة ليحقق الشاب أحلامه في الفلوس الغزيرة والمكانة الإجتماعية.. نعم المكانة الإجتماعية، فللأسف معظم من يعتقدون أن فلاناً هذا هو شخص قذر لا يترددون في تحيته والتودد إليه لو صادفوه في أي مكان!

الرسالة التي تصل للشباب الواعي الذي لا يصدق أكاذيبهم هي أن هؤلاء الخدم يمتلكون القوة والحصانة والمنعة والاستعصاء على المحاكمة والإدانة مهما فعلوا، وهذا يقدم للجيل الجديد أسوأ نموذج ويدفع الشباب للإنكفاء على الذات واليأس من الحياة أو الفرار من هذا الوطن الظالم، وقد يأخذهم اليأس إلى سكة الإنحراف والترخص التي أصبحت معتمدة كسبيل لارتقاء السلّم الإجتماعي.

هناك إذن الغوغاء من أنصاف المتعلمين الذين باتوا بفعل الإعلام الدنيء يصدقون أننا أسرنا قائد الأسطول السادس ويعتقدون أن 25 يناير هي مؤامرة في حق الوطن، وهناك أيضاً أصحاب الوعي الذين لا يصدقون شيئاً مما يسمعونه، لكنه مع ذلك يؤثر فيهم بالسلب ويعجل بانهيارهم النفسي عندما يرون وطنهم العزيز يعتليه الأوغاد. لكن هل هذه هي نهاية الحدوتة أم يوجد المزيد من السوء؟ للأسف يوجد الأسوأ.. إن إنقسام المجتمع ما بين بؤساء متشخرمين يمكن التأثر عليهم وإقناعهم بكل التخاريف والأكاذيب، إلى جانب نفر من الواعين المحطمة نفوسهم، يضاف إليهم الواعون من أصحاب الصلابة النفسية الذين لا تهزهم تخاريف الروث الإعلامي ولا يؤثر فيهم الهزيمة النفسية لنفر من أصحابهم.. إنقسام الوطن بهذا الشكل الذي حدث تحت القصف الإعلامي قد أتاح للذين يمسكون خيوط اللعبة ويحركون العرائس على المسرح أن يحاربوك ليس بقواتهم، وإنما يحاربونك بأهلك.. يجعلون أهلك يتصدون لك ويواجهونك ويتخذون منك عدواً بعد أن اقتنعوا بأنك خائن عميل، وبأنك واحد من أولئك الذين يحبون الديموقراطية والعزة والكرامة والمساواة ويجاهدون من أجل الحق في الطعام والعلاج والتعليم إلخ هذه الأفكار السوداوية التي تحرق البلاد!.

أخطر ما نجح فيه أراجوزات الإعلام الذين ننظر إليهم على أنهم مجموعة من المخابيل الجهلاء أنهم وصلوا إلى عقر دارك وجعلوا أخاك يخشاك وأباك يلعنك وأمك تطلب لك الهداية.. لقد وضعوك على خط النار وجعلوا في مواجهتك أقرب الناس إليك، وهم لا يخشون أن تضيع أنت في المواجهة أو يحترق أهلك، فأنتم جميعاً لستم في عرفهم أكثر من وقود لحرب شنوها على المجتمع، وربما كنتم بالنسبة لهم في أحسن الأحوال: هؤلاء الذين يزودون خيولهم بالعلف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

إن العين لتدمع

سألت قناة سي إن إن جو بايدن نائب الرئيس الأمريكي عن لحظة لا ينساها مع الرئيس أوباما فقال: أنا أعلم أن الرئيس سيغضب لكشفي هذا، ولكن ما حدث أن أوباما عرف أنني أجد صعوبة في تدبير تكلفة علاج ابني وكان يعاني من سرطان في المخ، ولهذا فقد فكرت في بيع بيتي لتغطية مصاريف العلاج، والحقيقة أن التأمين الصحي الذي كان يحظي به لم يكن يشمل تكلفة علاجات ما زالت في طور التجربة.. ما إن علم الرئيس بذلك حتى استحلفني أن أعده بعدم التفكير في بيع البيت وأنه سيتكفل بدفع كل ما يحتاجه ابني من جيبه الخاص، ولم يتركني حتى وعدته بذلك.

من المعروف أن بو بايدن المدعي العام بولاية ديلاوير ابن جو بايدن نائب الرئيس الأمريكي قد توفي في مايو 2015 عن عمر 46 عاماً متأثراً بورم في المخ، ومن الواضح أن وفاته قد جنّبت والده أن يلجأ لصديقه أوباما أو أن يبيع البيت!

من الملاحظ في القصة السابقة أن مشاعر الود والصداقة بين الرئيس ونائبه أكبر من مجرد الشراكة في العمل لدرجة تدفعه للمساعدة في علاج ابنه، ومعروف أن أوباما مليونير من قبل الرئاسة.. والمساعدة هنا ليست في العلاج على نفقة الدولة ولكن من ماله الخاص، ذلك أن المال العام له حُرمة ولا يمكن أن تمتد إليه يد مسؤول لمجاملة أصدقائه حتى لو كان هذا المسؤول هو رئيس الجمهورية.

عندما يقرأ الناس في بلادنا خبراً كهذا فإنهم يصابون بالذهول لأن الميزانيات العامة للدول العربية مفتوحة على البحري على الميزانيات الخاصة للحكام، وليس هناك حدود للإثنين، لذلك لا يُتصور وجود شخص بحجم نائب رئيس يمكن أن يعجز عن علاج ابنه لدرجة الاستدانة أو بيع البيت.

المسؤولون في بلادنا ما إن يشعر الواحد منهم ببوادر أنفلوانزا حتى يشد الرحال إلى سويسرا أو أمريكا لعمل فحص شامل، ولا ينسي أن يصطحب معه المدام لتطمئن على نفسها، والأولاد ليقوموا بعمل الشوبنج في رحلة تتحمل الدولة مصاريفها من الألف إلى الياء مع صرف البدل النقدي لزوم الفرفشة.

ولعلها صدفة أن يقوم المدعي العام السويسري بزيارة بلادنا هذه الأيام ليتحدث للمسؤولين عن أموال مبارك وعائلته التي تحفّظ عليها السويسريون في انتظار أن تبادر الحكومة المصرية بطلب استرداد المال المسروق، ويبدو أن أن الرجل قد أتي بعدما طال انتظاره ليسألنا إن كنا نريد الفلوس أم يفرج عنها ويتركها تعود لمبارك وأسرته!

هل عرفتم الآن سر منعة أمريكا وقوتها، وسر خيبتنا ووكستنا؟ الفرق بينها وبيننا أن الرئيس الأمريكي لم يدُر بباله فكرة أن يعالج ابن صديقه من المال العام، في حين أن مبارك بعد أن سرق المليارات وحوّلها للخارج لم يعش في بحبوحة من المال الذي سرقه، لكن ظل يأكل ويشرب ويحصل على فيللات ثم يفرشها ويشتري الموبيليا والتحف والتليفزيونات والحنفيات والستائر والآيس كريم والبيض بالبسطرمة وطواجن اللحمة بالبصل والجمبري المشوي والكنافة بالمانجة والبلاي ستيشن على حساب الخزينة العامة، وذلك بعد أن يقوم بضرب الفواتير وتزويرها ليُظهر مشترواته كما لو كانت ضمن أعمال صيانة شبكة الإتصالات الرئاسية.. وبعد كل ذلك ما زال يعيش حياة الملوك وهو المحكوم عليه بالسجن في قضية سرقة أموال فقراء المصريين.

واللــه إن العين لتدمع وإن القلب ليبكي وإنا لفراق العدالة لمحزونون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عصر مؤخرة القرد

الطبقة الحاكمة في بلادنا، يشبه أفرادها باعة المثلجات في جهنم.. أولئك الذين يحققون ثرواتهم من بيزنس الجحيم!

إذا تغيرت ظروفك إلى الأحسن، فلتصرح بهذا بدون تردد.. لا تمضِ في إستغلال المأساة إلى ما لا نهاية!

عبد العاطي يستخلص عقاراً مضاداً للإكتئاب من كيلو وربع كابوريا نِتْي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حالة عشق

سمعت أحاديث كثيرة تتردد عن شيخ ظهر في إحدي المناطق فأحدث ظهوره هرجاً ومرجاً، وأخذ الناس الذين بوغتوا بكراماته يتحدثون بها باعتبارها سحراً أو تشبه السحر. كان الأتباع والمريدون كالممسوسين الذين لم يعد لهم همّ سوي التسبيح بقدرات سيدهم الشيخ الذي يمتلك محلاً للعطارة يقوم فيه بتصنيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أدهشني أن أجد من بين دراويش الشيخ رجلاً كنت أحسبه من العاقلين، ولما كان هذا الرجل هو صديق شخصي لي فقد قصدته لأفهم منه ماذا يصنع هذا الرجل بالتحديد حتى تكون له كل هذه الهالة في أعين محبيه وكل هذه المهابة في نفوسهم.

قال: إن هذا الرجل أشبه بالأنبياء.. به سَمْتهم وله معجزاتهم وكراماتهم، ولا شك أنه متصل بالسماء حتى تكون له القدرة على أن يقدم للناس كل ما قدمه. قلت في فضول: وما الذي قدمه شيخكم هذا بالتحديد؟

قال في شرود وكأنه يستحضر روح الشيخ: ليس المهم ما قدمه حتى الآن على كثرته، لكن الأهم أن ما اخترعه حتى الآن يبشر بأن لديه الكثير مما لم يظهر بعد. قلت وقد اعتراني قلق حقيقي: أخشي أن يكون هذا الرجل هو أحد تجليات زمن عبد العاطي، رجل الكفتة الشهير؟. قال: مالشيخنا وعبد العاطي كفتة؟ إننا مريدون لرجل من زمن النبوة الكريم.. رجل أقبل علينا فتغيرت حياتنا حتى لكأننا لم نعش من قبل.

قلت وقد رق قلبي وتفتحت مسامي لهذا الرجل: لا أشك أن إيمانك الشديد هذا مع وفرة المحبين والدراويش يشي بأن شيخكم هذا مختلف عن غيره، لكن ماذا عن عطارته، وأي الكشوفات العشبية التي أطلقها هذا الرجل بهرتكم وسببت لكم هذا كل هذا الوجد الشفيف؟. قال: من الأشياء التي سهر لأجلها الرجل وعكف على صنعها في معمله الصغير داخل محل العطارة تركيبة فريدة يمكن بعد أن تقوم بإذابتها في الماء وضع مقدار ضئيل منها على مؤخرة القرد فتزداد إحمراراً؟

أحسست أن الأرض تميد بي بعدما سمعت ما قال الصديق الذي كنت آخذه طوال الوقت على محمل الجد. قلت مفزوعاً: هذا مزاح.. أليس كذلك؟ قال في حدة: أي مزاح يا رجل؟ أقول لك أنه استطاع أن يزيد حمرة مؤخرة القرد تقول لي مزاح! مَن بربك استطاع قبل شيخنا الجليل أن يصل إلى شيء كهذا؟. قلت في غضب: وما الذي يفيدنا إذا احمرت مؤخرة القرد أو اكتست باللون البرونزي؟. قال: هذا يا مسكين ما يظنه العامة الذين لا يفكرون سوي في أنفسهم ولا ينظرون أبعد من تحت أرجلهم!

أوشكت أن ألطم على وجهي من هول ما أسمع، ومع هذا فقد تذرعت بالصبر وسألت: وهل الإعجاب الذي تبديه باختراع الرجل هو نفس ما يبديه أصحابكم من الأتباع والأنصار؟

قال في زهو: و من أكون أنا إلى جانب أحباب الشيخ، إنني حدثتك عن اختراع واحد فقط ولم أقل لك عن بقية أعماله.. هذا الرجل الذي كُشفت له الحجب قد توصل في الشهر التالى بعد اختراعه الذي حدثتك عنه إلى خلطة بسيطة مفرداتها موجودة عند أي عطار، لكن العبقرية تكمن في النِسَب وطريقة المزج.. خلطة جديدة من شأنها لو تم استخدامها بحكمة أن تجعل ليّة الخروف أكثر نعومة ورقة مما

هي عليه، وأظنك تشهد أن أحداً قبل سيدنا الشيخ لم يفكر في مخلوقات ربنا ولا حاول أن يقدم لها ما يسعدها!
كنت قد فقدت القدرة على الدهشة وصرت أتوقع أن أسمع أي هراء، لذلك قررت أن أكمل معه مشوار العبث. سألته: وهل أنت وشيخك واثقان من أن تنعيم لية الخروف وتحمير مؤخرة القرد تمنح كلا من القرد والخروف السعادة التي يحلم بها، أم أن موزة وقليل من الفول السوداني قد تحمل للقرد بهجة أكثر من الشخبطة على خلفيته، وأن حزمة برسيم طازجة من الممكن أن تهب الخروف لحظات أطيب مما يحصل عليه وأنت تفرك ليته بعجينة عمك الشيخ؟
قال: عيب الإنسان أنه عَجول وأناني لا يفكر سوي في ملذاته، مع أنه لو منح نفسه لأفكار سامية تتعلق بإسعاد سائر مخلوقات اللـه لشفّت روحه وارتقي بنفسه إلى درجات أعلى فوق سلم الإنسانية.
قلت: ما شاء اللـه على الأفكار النبيلة.. وماذا فعلتم للفيل والغزال.. هل اخترعتم مرهماً لزلومة الفيل وكريماً مرطباً لكعب الغزال؟
قال: أظنك تهزأ بي، ومع ذلك لا يا سيدي لم يخترع مولانا ما تقول لكنه توصل لمحلول إذا ما ارتشف منه السنجاب رشفة واحدة اعتدل مزاجه اليوم بكامله فلا يتسلل إليه الضيق أو الكدرّ.
قلت: وهذه المخترعات العظيمة التي أسعدت الناس.. كم تكلفت ومن الذي قام بتمويلها؟
قال: تكلفت مليارات، فالمشاريع العظيمة كما تعرف تتكلف وقد ساهمنا راضين بما نستطيع ولسوف نتحمل المزيد ما دام مولانا معنا يرعانا ويحنو علينا.
قلت قد عاودتني حالة عدم التصديق: هل أنتم مجانين؟ دهنتم مؤخرة القرد وعدلتم مزاج السنجاب بمليارات؟.. ألهذا الحد نجح شيخكم هذا في تلويث عقولكم وشخرمة أرواحكم فهجرتم التفكير السليم وتبنيتم كل هذه التخاريف؟ ماذا عن واقعكم المزري يا رجل؟ أليس بوسع شيخكم هذا أن يقدم طعاماً للجائعين أو مساكن للبائسين أو وظائف للخريجين أو إغاثة للمنكوبين؟. قال ناظراً للأفق: إن رسالة شيخنا تتجاوز مطالبكم التافهة الخاصة بالأكل والشرب والزواج، فهذه وظائف الأتباع التافهين، أما سيدنا فإنه قبس من روح اللـه، قد بعثه إلينا ليحرر نفوسنا من الأغلال والقيود.
قلت يائسا من أن يفهم أو يعقل: أنا لا أطلب من شيخكم أن يحل لنا مشاكلنا فهي بالتأكيد لا تعنيه، ولكني أسألكم أنتم: ألم يعد لكم اهتمام بأشياء البشر الفانية مثل فاتورة الكهرباء واشتراك التليفون وقسط المدرسة وثمن العشاء والطرق والشوارع والمستشفيات والمدارس وسائر الخدمات.. ألم يعد شيء مما سبق يشغلكم بعد أن شفّت أرواحكم وجاوزت الغلاف الخارجي للأرض؟
قال: لن تفهم حتى تذوق.
قلت: ذوقوا وحدكم يا ولاد العبيطة.. ثم راجعت نفسي: كيف يذوقوا وحدهم؟ إننا نتجرع معهم دون رغبة منا.. فاللهم لطفك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أنــور وتــهامــي

دخل الأستاذ أنور إلى عيادة الطبيب وهو يئن من وجع عظامه. ذهب إلى الدكتور تهامي الذي تسبقه شهرته وهو مستبشر بأن نهاية الأوجاع ستكون على يديه. نام على السرير قبالة الطبيب الذي تفحص وجهه من بعيد ثم مال عليه يسأله: حدثني عن ظروفك العائلية! قال مدهوشاً: عائلية إيه؟ أقول لك عظام يدي وساقي تؤلمني. تجاهل الطبيب ملحوظته وسأله: هل يكفيك مرتبّك؟ قال: لقد اقترضت حتى أدفع لك الفيزيتا لكن هذا لا يشغلني الآن.. رُكبتي يا دكتور.

عاد الطبيب إلى كرسيه فجلس وأمامه المريض متلهفاً ليعرف أخبار حالته. قال الطبيب: بسيطة.. أنت تشكو من حالة نفسية، لديك اكتئاب متوسط.. سأكتب لك أدوية تحل كل مشاكلك.

نظر المريض حوله في دهشة ليري إن كان الطبيب يحدث شخصاً آخر ثم قال معترضاً: عظامي يا دكتور.. أوليست اللافتة المعلقة على بابك تقول إنك طبيب عظام؟. أخذه الطبيب من يده وأوصله حتى الباب وقال للتومرجي: اللي بعده!

دخل الصيدلية يجر قدميه جراً وقدم للصيدلي الروشتة فأحضر له دواء تريبتيزول ودواء سيروكسات ودواء زولوفت. في البيت قرأ النشرة الداخلية لكل دواء فوجدها أدوية لعلاج الإكتئاب والذهان وكل ما له علاقة بالدماغ المتشخرمة. بعد قليل نزل ليقابل أصدقاءه على القهوة وهناك حكي لهم عن الطبيب العجيب الذي وصف له علاجاً للإكتئاب وتجاهل وجع عظامه. كانت خلاصة كلام الأصدقاء أن الطب لم يعد له أمان كما كان في السابق وأن الأطباء لم يعودوا هم الحكماء كما يشي اسم نقابتهم «دار الحكمة» بل إن الطب صار وظيفة من السهل انتحالها من قِبَل بتوع الكفتة والحواوشي، وأخبروه أن فاراً من مستشفي المجانين اشتغل طبيباً مقيماً بإحدي المستشفيات الجامعية لعدة سنوات قبل أن يكتشف أمره. شعر أنور أنه كان ضحية طبيب مختل ضحك عليه ولهف منه ثمن الكشف ثم جعله يشتري دواء بالشيء الفلاني وهو ليس في حاجة إليه. هذا الشعور أمضّه ونكد عليه فعاد إلى البيت محطماً يشعر أن العالم يطبق عليه ويكاد يخنقه. نام أنور وأحزانه معه، وعندما صحا من النوم كان اليأس والغضب قد استحالا إلى اكتئاب نفسي حاد سيطر على الرجل ففقد الشهية للطعام وأهمل الذهاب للعمل ولم يعد يحلق ذقنه أو يهتم بمظهره. مرت الأيام بالأستاذ أنور وهو من سيء إلى أسوأ حتى خشي عليه الأصدقاء والجيران، ثم قرر أحد أصدقائه أن يقيم ومعه ويتعهده بالرعاية وبدأ يعطيه أدوية الإكتئاب بانتظام.. يوم بعد يوم بدأ أنور يتحسن وبدأت تعود إليه روحه الغائبة واسترد شهيته للطعام من جديد وحلق ذهنه واستحم وقطع الإجازة مقرراً العودة إلى العمل. شعر الأستاذ أنور بعد أن أنهي كورس العلاج أنه ولد من جديد وأن فترة الإكتئاب الكابوسية قد فارقته إلى غير رجعة فنزل في المساء وقطع الطريق إلى عيادة الدكتور تهامي وهو يصفر في الشارع بألحان مبهجة، ولم ينس أن يعرج على بائع الورد ليشتري باقة جميلة قدمها للدكتور تهامي وهو يحتضنه ويشكره على علاجه الناجع الذي أزال عنه المرض.

ما سبق ليس أحد أفلام وودي ألين.. لكنه حياتنا!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أولادي يا اللـه!

خرج الركاب من الطائرة فوجدوا لافتات الترحيب بعدة لغات تقول لهم: أهلاً بكم في مطار ستوكهولم. جر الأستاذ مسعود حقيبة اليد وأسرع مع المسرعين في الطريق إلى الجوازات. الطوابير طويلة ومن الواضح أن عدة طائرات قد هبطت في أوقات متقاربة فأحدثت هذا الزحام. وقف في دوره ممسكاً حقيبته الصغيرة التي تحوي أدويته كلها في يد، وفي اليد الأخري تليفونه المحمول منتظراً أن يدق معلناً عن مكالمة من ابنه الذي ينتظره بالخارج. كان علاء الابن الصغير للأستاذ مسعود قد دعاه لزيارته بالسويد التي هاجر إليها منذ خمس سنوات حيث تزوج وأنجب فتاة جميلة تقف بانتظار خروج جدها ومعه الهدايا التي وعدها بها في التليفون. لم يكن الأستاذ مسعود الناظر بالمعاش يهوي السفر، لكنه استجاب لدعوة ولده بعد أن تزوج أبناؤه ثم توفيت أم العيال وخلا البيت عليه. دق جرس الموبايل فأوشك مسعود أن يرد قبل أن يكتشف أن نغمته يشترك معه فيها الراكب الذي يقف أمامه بالطابور. علا صوت الرجل الذي كان يتحدث العربية بلهجة شامية وهو يقول: شو؟ أنا لا أفهم، تمالك نفسك يا بني وقل لي ماذا حدث.. غارة.. براميل؟ لا تخف يا ولدي واهدأ.. تماسك فأنت الكبير حتى لا تنقل الرعب لإخوتك الصغار، صدقني سوف تمر الغارة بسلام كغيرها وسوف تلحقون بي قريباً، وحياة اللـه، لقد أنجزت كل شيء.. اعطني أمك بسرعة. نظر الأستاذ مسعود للرجل فأبصر وجهه قد امتقع وبدت عليه كل آيات الهلع ثم سمعه يقول: لا تصرخي أرجوكِ من شان الولاد، خذيهم وانزلي بهم للسرداب.. اللـه بيستر اللـه بيستر.

انقطعت المكالمة وظل الرجل يحاول مع التليفون الذي فرغت شحنته، ثم بعد أن تأكد من عبث المحاولة ألقي التليفون على الأرض ودهسه بقدمه ثم تهاوي إلى جانبه وانفجر في البكاء. نزل الأستاذ مسعود على الأرض إلى جانبه وسأله بلهفة: ما الأمر؟ قال الرجل السوري في ذهول: سمعت صوت الإنفجار قبل انقطاع الخط.. سمعت صوت الإنفجار. طمأنه مسعود وأعطاه تليفونه ليعاود الإتصال وهو يردد: إن شاء اللـه خير.. إن شاء اللـه خير. أمسك الرجل التليفون بيد مرتعشة وحاول أن يستجمع شتات نفسه ليتذكر الرقم ثم طلب النمرة وانتظر.. لا أحد يرد.. لا أحد يرد. قال مسعود: أكيد خرجوا من البيت.. اطمئن وصلّ على النبي. قال الرجل في حرقة: وبماذا تفيد الصلاة على النبي؟ إن الذين يكثرون من الصلاة على النبي قد شردونا وخربوا بيوتنا، والذين لا يعرفون النبي هم الذين يقدمون لنا العون. قال هذا ثم شرع يطلب رقماً آخر.. قال: سأطلب أختي لعلها تعرف شيئاً. كان مسعود يتابع الموقف بعينين دامعتين وكيانه كله يرتعد من هول الموقف. حاول أن يُطمئن الرجل لكنه نفسه كان في حالة سيئة. أخرج من حقيبته دواء ابتلع قرصاً منه وأمسك دواء آخر ووضع حبة تحت لسانه. صرخ الرجل السوري في التليفون وهو ملقي على الأرض وسط متابعة من الركاب: ماذا؟ البيت انهار، صار كومة تراب.. أولادي يا اللـه.. أولادي يا اللـه.

وضع الرجل رأسه في الأرض وأخذ ينتحب وجسده يهتز هزات قوية. تجمع الناس حوله في فضول وهرع بعضهم يطلب له المساعدة من سلطات المطار، لكن وسط اهتمامهم بالرجل السوري المكلوم فاتهم أن ينتبهوا إلى أن الأستاذ مسعود الجالس إلى جواره قد تمدد على الأرض بلا حراك!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ناصري.. إزاي يعني؟

بعد حرب أكتوبر واقتراب السادات من الأمريكان، فوجئنا به يشن حملة شرسة على المجتمع المصري عمل بموجبها على التخلص من إرث عبد الناصر المتمثل في السياسات التي تأخذ الفقراء في الإعتبار، كما اقترب من العدو الإسرائيلي كثيراً فتصالح معه واتخذه صديقاً من دون العرب الذين عدّهم بدواً أجلافاً لا تصح مصادقتهم!.

انقض السادات إذن على الجانب المعقول في سياسات عبد الناصر، لكنه أبقي على تراثه المر في القمع والتعذيب ودهس القانون بالحذاء وتمكين الموثوق بهم ولو كانوا جهلة أو منحرفين. في ذلك الوقت خرجت مجموعات سياسية تناهض السادات حمل بعضهم اسم «الناصريون».. ورغم غرابة انتساب مجموعة من الناس لشخص بدلاً من الانتساب لفكرة، فقد كانت المسألة مفهومة في إطار أنها ردة فعل على شراسة السادات في محو المكتسبات التي تُحسب لعبد الناصر في علاقته بالفقراء. ولكن الآن فإن الأمر يدعو لبالغ الدهشة عندما تجد أحزاباً في مصر والوطن العربي تتخذ من الناصرية شعاراً لها. لقد مضي على رحيل عبد الناصر عشرات السنين وجرت في النهر زبالة كثيرة ومخلفات صرف صحي وحيوانات نافقة، ولم يعد يليق أن يصف المرء نفسه بأنه ناصري.. إذ لو كان يقصد تبنيه لسياسات إجتماعية ذات وجه إنساني فإن الطبيعي أن يسمي نفسه اشتراكياً، ولو كان يقصد اعتناقه لأفكار ليبرالية فإن عبد الناصر لم يكن ليبرالياً، بل كان يحمل فكرة سيئة عن الديموقراطية بحسبانها وسيلة لتمكين الأغنياء من الحكم من خلال الإنتخابات التي يكون الفقراء فيها عزلاً من السلاح في مواجهة تايكونات مسلحين بالمال والنفوذ.. وبصرف النظر عن الوجاهة الظاهرية للحجة فإن عبد الناصر لم يكن مؤمناً بالحريات السياسية، وكانت كل الإنتخابات والاستفتاءات في زمنه مزورة. ولو كان الشخص يقصد أنه مناهض للتعذيب ومناصر للحق في الكرامة الإنسانية وصيانة الجسد البشري من المس به، فهو لا يمكن أن يكون ناصرياً، لأن عبد الناصر هو من أدخل التعذيب الوحشي إلى السجون في مصر وجعله نشاطاً روتينياً يقوم به رجال الأمن دون تأنيب ضمير!.. هذه هي الفكرة، يمكنك أن تكون يسارياً نبيلاً أو ليبرالياً منفتحاً أو إسلامياً معتدلاً بشرط أن يكون إيمانك بالحرية وتداول السلطة بديهياً وليس محلاً للتمايز، أما التمايز فيكون في تحبيذ المشروع الخاص أو الانحياز لدور أكبر للدولة مثلا، لكن ناصري.. كيف؟.. ناصري لا معني لها سوي أنك محب للفقراء وراغب في منحهم حقوقهم الأساسية في الطعام والشراب والتعليم والعلاج، مع منعهم من الكلام وخنق حريتهم في التعبير، وعدم التورع عن سجن الأبرياء منهم إلى جانب المجرمين، وتعذيبهم والتنكيل بعائلاتهم.. ناصري تعني شخص محب للفقراء، لكن مرحب أشد الترحيب بتزوير الإنتخابات وتزييف الإرادة الشعبية التي تمنع الفقراء من تمثيل أنفسهم، إلا لو كان الواحد منهم صبي عالمة يجيد الرقص بالصاجات على نغمات الزعيم!. قد كان مفهوماً في زمن السادات أن نرفع في وجهه شعارات عبد الناصر واسمه، أما اليوم وبعد ثورة 25 يناير التي طالبت بالعيش والحرية والكرامة فكيف ينسب الشخص نفسه لثورة عظيمة ترفض التعذيب والذل كما ترفض توسيد الأمر للسفلة، ثم يزعم أنه ينطلق في مطالبه هذه من كونه ناصرياً!.. نفهم أن العقول تشخرمت بفعل الطغيان الطويل، لكن ليس إلى هذا الحد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ثـلاثـة أنــواع

من الملاحظ أن كل اللاعبين في المنطقة العربية أصبحوا يلعبون لصالح إسرائيل ويحصدون لها دون أن تطلب نقاطاً تقويها وتزيدها حصانة. حتى المواطن العادي الذي كان يفزع من ذكر اسم إسرائيل وكان لا يرتاح قبل أن يسب ويلعن قادتها ويستعيذ باللـه منهم تغّير الآن وأصبح يلتمس لإسرائيل الأعذار إذا ما اعتدت على طرف عربي!. ولعل إحساس المواطن بأن سلطات بلاده لم تعد تحمل لإسرائيل عداء كما في السابق، بل أصبحت تصوّت لها بالتأييد في المحافل الدولية قد ساهم في أن الناس في بلادنا أصبحت تنقسم إزاء إسرائيل إلى ثلاثة أنواع.. نوع ينظر لها كدولة عادية يحق له أن يحبها ويتعاون معها لو وافق ذلك مصالحه في البيزنس وهؤلاء غالباً رجال أعمال وإعلاميون، ونوع ثان يمكن تسميته الكتلة التافهة وهي تتألف من المواطنين الذين يشعرون بالأمان في تبنيهم مواقف السلطة ولا يريدون أن يبتعدوا عن هذه المواقف حتى لو تناقضت مع مكوناتهم أو حتى مع معتقداتهم الدينية.. المهم أن يكون ما يؤمنون به مطابقاً للموقف الرسمي، وبما أن الأيام الدوارة قد أبطأت دورانها عند مرحلة إسرائيل الحلوة وجعلت منها صديقاً موثوقاً به، في حين جعلت كل من يقاومها يصنّف إرهابياً ويدخل في خانة الأعداء، فإن المواطن التافه أصبح يري إسرائيل دولة جارة تحمل قيم الديموقراطية وتشبه الغرب المتحضر.. من الممكن طبعاً أن يتغير هذا كله إذا غيرت السلطة موقفها في أي وقت، لكن ما دام الإعلام ما زال يتبني هذه النظرة فلا بد أننا كنا نظلم إسرائيل في السابق، وقد يليق أن يتم عمل إئتلاف سياسي من بعض أعضاء هذه الكتلة يحمل اسم: إحنا آسفين يا إسرائيل!. أما النوع الثالث فيمكن تسميته بالكتلة المرعوبة أو المقموعة وأفرادها يعرفون جيداً أن إسرائيل دولة معادية لا تتورع عن تخريب أوطاننا مهما وقعنا معها من معاهدات.. هؤلاء الناس رغم معرفتهم هذه فإنهم يرددون كلام التليفزيون فيتحدثون بالخير عن أولاد العم، كما لا يفوتهم التنديد بكل من يعادي إسرائيل أو يرمي عليها حجراً. والحقيقة أن هذا الموقف لا يعود إلى تفاهة صاحبه أو إلى غسيل الدماغ وإنما يتخذه المرء كما يفعل أقرانه عندما يتعرضون للتعذيب ويُطلب من الواحد منهم أن يقول: أنا مرة!.. يقولها الواقع تحت التعذيب لتنجيه وتوقف استباحة جسده، وكذلك المواطن المرعوب لا يتردد في قول: إسرائيل حلوة، دون أن يطلب منه أحد أن يقولها وذلك في حالة من الإستسلام الإستباقي التام بتصور أن التأخر في قولها قد يترتب عليه في وقت ما أن يواجه من الصفعات والركلات ما لا قبل له به، وهو هنا يعلن أنه «مَرَة» منذ البداية دون أن يمر بمراحل الصمود والضعف ثم الإستسلام!

قد يري البعض أنني تحدثت عن ثلاثة أنواع وأغفلت نوعاً رابعاً هو الذين يؤمنون بعنصرية ووحشية إسرائيل ولا يترددون في إعلان موقفهم دون خوف أو وجل، والحقيقة أنني لم أغفل شيئاً لأن هذا النوع لم يعد موجوداً في بلادنا، وحتى النصابون الحنجوريون قد توقفوا عن الصخب الكاذب بعد أن مات حافظ وصدام والقذافي الذين كانوا يدفعون ثمن الحنجرة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مطعم الديك الذهبي

عندما التقي الرئيس أنور السادات بالسيد هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكي في نوفمبر 73 عقب حرب أكتوبر مباشرة، فإن كيسنجر قدم له ورقة بها ست نقاط تمثل طلبات صهيونية لم تتصور إسرائيل أن يوافق السادات عليها، غير أن الرئيس المصري بعد أن ألقي نظرة سريعة على الورقة نحّاها جانباً واعتدل في جلسته وقال لكيسنجر: هنري.. دعك من هذا، أنت رجل استراتيجي وأنا رجل استراتيجي، ولا يجب أن ننشغل بالتفاصيل.. أنا موافق على كل ما في الورقة.. لنتحدث إذن في المهم!.

هذا الحوار السابق ورد في مذكرات الفريق الشاذلي، وذكره المشير الجمسي في كتابه عن يوميات حرب أكتوبر، كما تطرق إليه محمد إبراهيم كامل وزير الخارجية الذي استقال أثناء المفاوضات في كامب دافيد من هول ما رأي من تفريط!. كل مرة أقرأ فيها ما قاله السادات لكيسنجر فإنني أتذكر على الفور مسرحية «أنا فين وأنتي فين» لفؤاد المهندس وشويكار عندما كان نظيم شعراوي يوقع بالأرامل والمطلقات فيأخذ الواحدة منهن إلى مطعم الديك الذهبي وهناك يقول لها بتأثر بالغ: أنتِ وحيدة وأنا وحيد، أنتِ أرملة وأنا أرمل. نفس ما قاله السادات لكيسنجر: أنت استراتيجي وأنا استراتيجي، غير أن نظيم شعراوي كان يخدع السيدة من هؤلاء ويستولي على ثروتها، بينما هنري كيسنجر هو الذي أجلس السادات على حجره ثم شقلطه وشقلط مصر كلها معه، ولم تفلح معه حيلة: انتي أرملة وأنا أرمل!.

منذ تلك الأيام وأنا أنظر بتوجس إلى أي شخص يزعم أنه استراتيجي أو يطلق عليه أصدقاؤه لقب خبير أو محلل استراتيجي.. تعود إلى ذاكرتي أيام التفريط والكحْوَلة والجهل المطلق المغلف بالسلطة الغاشمة. أتذكر أيضاً ما كتبه المرحوم جلال عامر حول رغبته التي كانت منذ الصغر في أن يصير خبيراً استراتيجياً، غير أن إصرار أهله على أن يكمل تعليمه قد حال بينه وبين تحقيق أمنيته! وفي أي لقاء تليفزيوني يقوم المذيع بتعريف ضيفه للجمهور على أنه رجل استراتيجي، فإنني أتابع اللقاء مدركاً أن الطرفين (المذيع والضيف) ينتميان لنفس الفصيلة، وأنهما قد تلاقيا على فَرشة فكرية مريحة جمعت بينهما عقب تخلص كل منهما من ذهنية المفكر المقرفص فأصبحا يرفلان في بلهنية الفكر الوسيع المبحبح، وأتخيل أن الحياء فقط ما يمنعهما من تسبيل العيون ومسك الأيادي وشُرب كأسين من عصير الليمون بعدما وجد كل عصفور منهما أليفه، وأتصور أنهما قد يقضيان السهرة بعد التسجيل في مطعم الديك الذهبي حيث يبث كل منهما صاحبه استراتيجيات كونية في فضاءٍ رحب!.

أتصور أيضاً أننا أخطأنا كثيراً في حرب أكتوبر عندما واجهنا الوحش الإسرائيلي العقور دون أن نستعين بمفكرين استراتيجيين كان بمقدور أي منهم أن يحل لنا إشكال خط بارليف المنيع والساتر الترابي المرتفع الذين تغلبت عليهما العبقرية المصرية بحلول مبتكرة مثل خراطيم المياه ومثل سد فتحات النابالم قبل العبور.. كان بوسع الاستراتيجي أن يقول لنا اتركوا خط بارليف والساتر الترابي وسوف يقعان من تلقاء نفسيهما ولا داعي للتكاليف والدماء.. يكفيه أن يقول للخط: اقع يا خط حتى يقع الخط، كما يكفيه أن يقول للساتر الترابي: اقع يا ساتر حتى يقع الساتر!. ولا يصدني عن هذه الأمنية

قول الشاعر العربي القديم في وصف خصمه: بخيلَ كالحطيئة، ضعيف كالشنفرَى.. ومغفل كمفكر استراتيجي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فنانـون نبـلاء

لن يحقق لك السلام الذي تنشده سوى الموت.. أي شيء آخر لن يجلب لك سوى هدنة مؤقتة سرعان ما تنهار!

سُئل أحد الحكماء: ما بال الشباب يا مولانا يستهينون بارتكاب المعاصي ولا يستجيبون للنصح؟

قال الحكيم: عيال أوساخ بعيد عنّك!

عبد العاطي يتقدم بشكوى ضد علماء اليابان الذين يقومون بفرم الشَغَثْ، وسط تواطؤ دولي مكشوف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مـحمد فـوزي

كل سنة في الأسبوع الأخير من شهر أكتوبر عند حلول ذكري وفاة محمد فوزي أجدني راغباً في أن أكتب عنه من أجل إحياء ذكراه عند من لا يعرفونه، غير أن مشاعري تخذلني وأحس أن أي شيء أكتبه سيكون دون قدر هذا الفنان العظيم. سبب آخر للتقاعس هو أن الكتابة عن موسيقار فذ مثل محمد فوزي قد لا تصل للناس بالطريقة التي أحسها، فمثلاً إذا قررت الحديث عن أغنية «يا ليالى الشوق» سأجد الحديث يتدفق عن كلمات الأغنية وهذا يَحسُن أن يكون مكانه مقال عن الشاعر حسين السيد، وإذا أردت أن أشرك القاريء في إعجابي بأغنية «أي واللـه» سيذهب الثناء للشاعر مرسي جميل عزيز.. ونظراً لأنني غير قادر على شرح الموسيقي بالكلام، ولأن الموسيقي يقدمها العازفون لا الكُتاب فإن مصير الكتابة عن أعمال محمد فوزي سيكون تمجيد من كتبوا أغانيه وهم على روعتهم ليسوا موضوع مقالي!.

إن عظمة محمد فوزي الذي أتى من طنطا سعياً وراء المجد تكمن في أنه يوم أن وطأ القاهرة كانت تزخر بأساطين الملحنين من العيار الثقيل أمثال محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي وزكريا أحمد والقصبجي، وهؤلاء جميعاً لا يسهل منافستهم بمثل أدواتهم وطريقتهم ونغماتهم ومنهم الشرقي الأصيل الذي لم يتخل عن أسلوبه المحافظ كزكريا أحمد ومنهم المجدد بذكاء وبحساب مثل عبد الوهاب والجامح في مزج الشرقي بالغربي مثل محمد القصبجي.. ولعل هذا ما ألهم فوزي أن يصنع لنفسه كرسياً وسط هؤلاء من خلال نغمات غير مسبوقة في بساطتها ورقتها وعذوبتها.. نغمات سقاها من روحه فخرجت تشبهه.. لطيفة، خفيفة الدم، سهلة الحفظ والترديد وراسخة في الذاكرة في نفس الوقت. ومن أراد أن يختبر كلامي هذا فليستمع إلى مقطوعتيه «فتافيت السكر» و«تمر حنة» ليفهم مَن هو محمد فوزي. ولعل فوزي هو الوحيد تقريباً الذي يمكن الاستمتاع بأفلامه الغنائية التي قدمها في الأربعينيات والخمسينيات حتى الأن، فباستثناء عبد الحليم حافظ لا يوجد مطرب تسعدني أفلامه في تلك الفترة.. وأنا لا أري في إطار معارفي على الأقل من يستطيع اليوم الصبر على متابعة فيلم سينمائي لعبد الوهاب أو أم كلثوم أو فريد الأطرش أو عبد الغني السيد أو عبد المطلب، وكلهم علامات في دنيا الفن، لكن أفلامهم لم تكن خفيفة الظل وأداؤهم لم يكن حميمياً والأغاني في تلك الأفلام لم تُشعر الناس بأن أخاهم وابنهم وصديقهم هو الذي يغني.

غير أن الحنين لهذا الفنان وأعماله الجميلة يملؤني أسي على ما آل إليه مصيره في سنواته الأخيرة. لقد كتب الكثيرون واستفاضوا عن تأسيسه شركة مصرفون للاسطوانات التي قدمت للجمهور المنتج الموسيقي بأسعار رخيصة، وكتبوا عن صدمته عندما قامت السلطة بتأميم مصنع الإسطوانات وشركة الإنتاج وتعيينه موظفاً تحت إمرة الأفندي الذي وضعوه على رأس الشركة.. لكن ما أغفله معظمهم هو أن محمد فوزي كان على استعداد أن يتقبل هذا الإجراء المجحف لو أنه شمل الجميع، أمّا أن تؤمم شركته هو في حين يتركون شركة صوت الفن التي أسسها عبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب فإن هذا ما كان خليقاً بأن يدفع الدم في النافوخ ويأخذ جزيئات الجسم إلى سكة الاضطراب ومن ثم الوقوع فريسة مرض غريب غرابة ما فعله به الظالمون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

مـحمود شكوكو

قال محمود شكوكو في واحد من إيفيهاته الخالدة: يا حلو قُربك هَنا والبُعد فيه شطّة/سألت عنّك قالوا لي بيسرّب القطة!. وتسريب القطة أحد المفردات التي انقرضت من واقعنا الحالى وكانت معروفة فيما سبق عندما كانت القطط تنط على البيوت وتستوطن المنازل بعد أن تطمئن إلى وجود الأكل والدفء، وكان أهل البيت لا يمانعون من وجود حيوان أليف بالبيت إلى أن يبدأ مخزون الطعام في التناقص، حينها كانوا يقررون تسريب القطة أي وضعها في كيس ثم الإبتعاد بها عن الحي وإطلاقها حيث لا تتمكن من العودة. تخّيل حضرتك أنك ذهبت إلى منزل المحبوب بعد أن أضناك الشوق إليه فأخبروك أنه بيسرّب القطة!

كانت معظم الإيفيهات اللطيفة من اختراع شكوكو نفسه وبعضها الآخر كان يهديها له أصدقاؤه من الظرفاء الذين كان يحيط نفسه بهم، وأخيراً من المؤلفين المحترفين الذين امتلكوا مواهب في الشعر لا نظير لها مثل المرحوم فتحي قورة. في اعتقادي أن محمود شكوكو رغم شهرته المدوية ورغم أنه الفنان الوحيد الذي صنعوا من أجله التماثيل وباعوها في الشوارع مع النداء الشهير: شكوكو بإزازة!.. رغم ذلك فإنه لم ينل حقه من التكريم بحسبانه من أعظم كوميديانات الشرق. في رأيي المتواضع إن شكوكو يفوق الريحاني والمهندس ومدبولي والثلاثي وعادل إمام وسعيد صالح.. حتى إسماعيل يس العظيم فإن شكوكو كان أخف دماً منه وأكثر ثراء، يكفي أنه كان يمثل ويغني ويرقص ويقدم الأراجوز في ريادة لمسرح العرائس لم يعد يذكرها أحد. ولا أفهم كيف احتفي النقاد في السابق بصمويل بيكيت ومسرح العبث بينما تجاهلوا شكوكو رائد العبث في مصر!.

ما زلت حتى اليوم أستمتع بالمعارضات الشعرية التي قدمها شكوكو لأغاني زمنه ومنها قول أم كلثوم في أغنية انت عمري: يا حبيبي تعالى وكفاية اللي فاتنا. قال شكوكو في المقابل: يا حبيبي تعالى ده أنا ف حالة/ زي البوتاجاز تحت الحلة. تعا نقطع تذكرتين صالة/ ونجيب لب أسمر نتسلي. ونروح بعدين أنا وانت وحدينا/ لحسن دي مامتك صعبة تبعدنا عن بعضينا.

وفي معارضة لا تكذبي قال: لا تكذبي أنا مش عبيط/ أنا اللي جيت شكلي كدة. أنا وانت كالبيض والسميط/ ما يحلي ده إلا بده. وكنت فاكرك قرنبيط لكن طلعتي مسقعة.. إني رأيتكما معا!. كان شكوكو مصدراً لسعادة دائمة وكان صاحب طلة تسعد القلب وتنعش الروح بصورة لا يقدر عليها غيره.. حتى صوته الذي قد يراه البعض أجش وخالى من السلاسة أراه صوتاً رجولياً جميلاً، صحيح يختلف عن عذوبة صوت كارم محمود واستكانة عبد الحليم حافظ ومُحن أمير الغناء، لكنه كان صوت الرجال المعروقين الخشنين وهم في ألطف وأرق حالاتهم. ليس هناك في هذا الكون سوي شكوكو ومحمود الشريف وفتحي قورة يمكنهم أن يقولوا: تفوت عليّا ما تقول سعيدة/ والوش يعرق من الكسوف. يا حلو ياللي مصر الجديدة/ في البُعد عندك زي العطوف. طب بس قل لي إلى اللقاء/ واعطف وخللي عندك وفاء. يا جرح لكن مالوش دواء/ يا حَر جاني ف عز الشتاء.. وحياتك انت أشوفك إمتي وأين تسهر هذا المساء!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الذين يحبون..يتشخرمون

تبدو قصة حياة محمد القصبجي شبيهة بقصص أبطال الإغريق الذين ذهبوا لملاقاة مصائرهم بقوة دفع لم يكن لأحد القدرة على إيقافها.
البدايات كانت تشي بفنان قادر على صنع المستحيل.. رجل ولد مع سيد درويش في نفس السنة وأتيح له أن يتعلم الموسيقي الشرقية وأن يدرس أيضاً الموسيقي الغربية، ثم أراد أن يصنع نوعاً فريداً يحلق به في آفاق لم يبلغها أحد قبله في الشرق. مأساة هذا الرجل في ظني تكمن في أنه وثق في أم كلثوم ثقة عمياء وتصور أنها كتلميذة له سوف تلتزم بكونها الصوت الذي يحمل تجاربه وشطحاته في الموسيقي إلى العالم. لم يدر الرجل الطيب أن الست عندما فجعت في فيلم عايدة الذي تولي تلحين أغانيه ثم لاقي سقوط جماهيري.. لم يدر أنها لم تعد الفتاة الصغيرة التي التقاها عام 22 وكانت تغني مدائح نبوية مرتدية عقالاً بدوياً، وإنما أصبحت سيدة مجتمع ينحني لها الباشوات ويخضع لسطوتها الأباطرة، وأنها بحكم النشأة التقليدية لم تكن هي الشخص المناسب ليمضي معه إلى نهاية مشوار التجديد. لقد كان يمكن لأم كلثوم أن تسايره في جنونه لو أنه استمر يحقق لها النجاح مثلما فعل عندما غنت له الشك يحيي الغرام وما دام تحب بتنكر ليه، أما وأن تجاربه لم تعد مضمونة فليس من الحكمة أن تظل على متن سفينته. من هنا يأتي إنصرافها عن ألحانه بعد أن كانت قد وصلت معه إلى عنان السماء عندما قدم لها اللحن غير المسبوق في روعته «رق الحبيب». وربما يكمن جانب من المأساة في أن النجاح الباهر لرق الحبيب قد وضع على عاتق الرجل مهمة أن يثبت لنفسه أن نجاحه لم يأت صدفة.. وعلى ذلك فإنه هو شخصياً لم يرض عن أعماله بعدها لأنه رآها دون جوهرته الخالدة.. ومع ذلك فإنه ما إن حدثت الجفوة بينه وبين أم كلثوم حتى انطلق في ألحان ما زالت تدهش الناس مثل يا طيور وامتي ح تعرف لأسمهان، ومثل قلبي دليلي لليلي مراد. كان هذا الأمر فوق احتمال أم كلثوم، وأعتقد أنها لم تغفر له ذلك أبداً، ولقد واتتها الفرصة لمعاقبته عندما ماتت أسمهان فجأة وفقد القصبجي الصوت الذي عوّل عليه. والذين ذكروا الجملة التي قالتها أم كلثوم للقصبجي عندما قدم لها لحناً لم يعجبها (متهيأ لي انت محتاج لراحة طويلة يا قصب) يعلمون جيداً الوقع النفسي لهذا الكلام على رجل في حساسية القصبجي خاصة عندما يأتيه ممن لا يتوقع منها إلا المؤازرة والمساندة أو على الأقل الامتناع عن تكسير المجاديف إذا كانت لا تنوي أن تبحر معه! ويقول الذين عرفوا الرجل إن المشكلات العائلية التي مر بها في ذلك الوقت قد نالت من معنوياته وأضعفت مناعته فاستسلم لفكرة أم كلثوم التي سعت لإقناعه بها بأنه «خلاص شطّب» ولم يعد لديه ما يضيفه.
وما يثير الأسي أكثر في مأساة القصبجي أن أم كلثوم كانت تستطيع أن تتركه يسعي لرزقه كقائد فرقة موسيقية بعيداً عنها، لكنها أصرت على أن يظل يقود فرقتها، ثم في أقرب فرصة قامت بتنحيته جانباً وأسندت قيادة الفرقة لغيره وجعلته مجرد عازف عود إلى أن مات، ولم تتحرج من الأخبار التي تسربت بأنها تتركه بالفرقة فقط لأسباب إنسانية!.
في ظني أن معين العبقرية لم ينضب من القصبجي لكنه صدّق أم كلثوم لأنه كان يحبها، والذين يحبون كما نعلم.. يتشخرمون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

فتحي قورة

استمعت إلى حلقة إذاعية قديمة لبرنامج كان يستضيف الشاعر الغنائي الراحل فتحي قورة. سأله المذيع عن رأيه في كُتاب الأغاني وقتها (أوائل السبعينات).. رد فتحي قورة بأنه يندهش من جرأة بعضهم واستسهالهم الكتابة بدون جهد وضرب مثالاً على هذا بأغنية عايدة الشاعر التي يقول كاتبها: قال لك إيه يا صبية حبيبك لما عاد؟ قال لي غنوة حب حلوة تتغني ف كل البلاد. اعترض فتحي قورة على جملة «تتغني ف كل البلاد» واعتبر أن الشاعر حشرها حشراً لاحتياجه إليها في القافية.. وكان واضحاً أن قورة لا يحمل تقديراً كبيراً لشعراء الأغنية الجدد الذين ظهروا مع مطلع السبعينات ومنهم كاتب الأغنية التي ذكرها.. الشاعر عبد الرحيم منصور.

في الحلقة الإذاعية نفسها استمعنا إلى رد عبد الرحيم منصور على هجوم قورة، وهجومه المضاد عليه، وسمعناه يقلل من قيمته كشاعر لدرجة القول إنه أقل حتى من زجّال، ولمز في أغنية خمسة ف ستة بتلاتين يوم التي غنتها شادية!. حاول المذيع إيقاف هذا الهجوم غير المبرر، غير أن عبد الرحيم منصور اندفع وتجاوز الحدود لأنه فيما يبدو تأثر بشدة من الرأي السلبي الذي قاله عنه فتحي قورة. حاول المذيع أن يُفهمه أن أغنية «خمسة في ستة» التي سخر منها هي للشاعر حسين السيد وليست لفتحي قورة.. دون جدوى.

بعد سماع الحلقة طافت بذهني أفكار كثيرة، ذلك أني أحمل تقديراً كبيراً لكلا الشاعرين وخصوصاً فتحي قورة، ولا أوافق أي منهما على رأيه السيئ في الآخر، لكن استوقفني اعتقاد منصور بأن أغنية شادية «خمسة ف ستة» من تأليف فتحي قورة، ذلك أنني مثله كنت أعتقد نفس الشيء وأظن أن هذه الأغنية هي واحدة من عشرات الأغاني التي قدمها قورة لشادية، وتذكرت ما كتبه الأستاذ طارق الشناوي عن فتحي قورة أنه اضطر أحياناً وتحت ضغط الحاجة لبيع أغنيات لشعراء آخرين كانوا في عجلة من أمرهم ولديهم شغل كثير فأوكلوا للشاعر صاحب الموهبة الفائقة والغزارة في الإنتاج كتابة بعض الأغنيات لحسابهم.. تساءلت بيني وبين نفسي: هل هذه الأغنية التي تجلت فيها ملامح فتحي قورة هي واحدة من تلك الأغاني التي عاش عمره يشعر بالحزن عندما يسمعها لأنها نُسبت لغيره؟.

فتحي قورة شاعر عظيم بكل معني الكلمة، وأغانيه تثير الدهشة من بساطتها الآسرة، ولست في حاجة لاستعراض أغانيه مثل بكرة وبعده ويا سيدي أمرك لعبد الحليم أو تعب الهوى قلبي ومال القمر لمحمد فوزي أو يا قلبي سيبك وإن راح منك يا عين لشادية أو قلبي ومفتاحه، ودقّوا المزاهر لفريد، أو الأقصر بلدنا للعزبي، أو يا حلاوتك يا جمالك لفايزة، لكني سأكتفي بمثال بسيط يدل على العبقرية من أغنياته التي كتبها لمحمود شكوكو.. هناك أغنية تقول: حبيتك حباً جما، والروح بهواك مهتمّة/ وإزاي يا جميل تهجرني، إلى أجلٍ غير مُسمّي. بقي يعني اكمنّي بحبك.. تقابلني وبوزك شِبر/ كل اللي جرالى في حبك.. وعد ومكتوب بالحبر. قسمتي وياك ونصيبي.. يا شاغلني ولا انت داري بي/ قُربك دا جميل يا حبيبي.. وبعادك دا غازات سامة!. حبيتك حباً جماً.

تكمن عبقرية فتحي قورة في أنه يستطيع أن يكتب «الأطلال» إذا أراد، لكن مؤلف «الأطلال» لا يستطيع أن يقول: قُربك دا جميل يا حبيبي، وبعادك دا غازات سامة!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

القيـمة والـمَرَمّـة

كانت جنازة الفنان عمر الشريف كاشفة عن حجم الاهتراء بالنسبة لما يسمي بالنخبة المصرية من مثقفين وفنانين وخلافه، إذ في الوقت الذي أعرض الجميع عن عمر الشريف وتركوه يذهب إلى القبر في صمت، فإنهم أكرموا فناناً آخر هو المرحوم سامي العدل أيماً إكرام، ولئن كان العدل يستحق حب الناس والزملاء بلا جدال، فإن المؤسف أن زملاءه لم يكونوا ليحفلوا به لو لم تكن عائلته واحدة من العائلات الفنية التي يطمع السادة الأرتيست في رضاهم الإنتاجي!.

المحزن أن عمر الشريف كان يستحق دولة أخري غير بلده التي رفض أن يحصل على جنسية غيرها.. أيّ دولة كان سينتسب إليها عمر الشريف كانت ستودعه الوداع اللائق بقدره وقيمته. كان عمر الشريف يستطيع أن يكون أمريكياً أو انجليزياً أو فرنسياً أو إسبانياً أو كل هؤلاء جميعاً، لكنه عاش طيلة حياته لا يحمل سوي الجواز المصري.. وفي النهاية تظاهرت مصر الموكوسة الحالية بأنها لا تعرفه لأنه لا يملك ما يحشو به الأفواه!

شاهدت بعد وفاته الكثير من اللقاءات التليفزيونية التي أجراها عمر الشريف في مصر وخارجها وقرأت العديد من أحاديثه مع الصحافة فأكبرته أكثر مما كنت أفعل طيلة حياتي.. خلطة من الذكاء والبريق العقلي والحضور والتوهج والجاذبية والموهبة وإجادة اللغات والانفتاح على العالم.. إنني أزعم أن هذا الفنان المتفرد لا يدانيه ممثل آخر منذ بدأ فن التمثيل وحتى الآن في إمكانية الأداء بكل هذه اللغات. عمر الشريف وحده يمكنه أن يمثل بالعربي والانجليزي والفرنساوي والإيطالى والإسباني واليوناني. متي وكيف وأين هضم كل هذا؟ وما هي نوعية الإنسان الناتج عن كل هذه الخلطة الحضارية.. إنه عمر الشريف الجنتلمان الذي يعرف زملاءه في السينما العالمية قيمته، بينما لا يدركها زلنطحية الفن في بلده بعدما صار فتيان الشاشة هم مجموعة من العيال الجهلة الأقرب في حياتهم العادية إلى الشبّيحة منهم إلى الأسوياء!.

في أفلام عمر الشريف الأخيرة التي قدمها في مصر كنت أشعر بالغضب بسبب تسامحه وتنازله عما لا يجب التنازل بشأنه. مثلاً في الفيلم السخيف «حسن ومرقص» الذي قدمه مع عادل إمام عام 2008 استطعت أن أتفهم أن احتياجه إلى المال هو الذي دفعه لقبول فيلم رديء كهذا، لكني لم أفهم كيف وافق أن يقوم عادل إمام بكتابة اسمه قبله؟ هذا فنان يقف على قدم المساواة إلى جانب لورانس أوليفييه وأنتوني هوبكنز ومارلون براندو وبيتر أوستينوف وجاك نيكولسون، فكيف يتم ابتزازه على هذا النحو؟.. قال عمر الشريف في تفسير ذلك: أحسست أن هذا يسعد عادل إمام ويعني له الكثير فلم أجد غضاضة في ذلك، خاصة وأن هذا الأمر لا يفرق معي. منتهي السلام والصلح مع النفس من جانب فنان لا يدرك أن عادل إمام لم يكن يريده في الفيلم ولا يحتاجه، وكان يستطيع أن يأتي لتمثيل الدور بسعيد صالح أو أحمد راتب مثلاً، لكنه أحضر عمر الشريف فقط من أجل هدف واحد هو: أن يكتب اسمه قبله!

لا يفهم عمر الشريف هذا، أو لعله يفهمه ويتعالى عليه ويضحك في سره من صغائر البشر الذين لم يروا ما رأى ولا عاشوا ما عاش ولا فهموا ما فهم، ويظنون أن أموال السبّوبة والنحتاية والمرمّة تغني عن القيمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الشاعر اللي معاه!

بفضل اليوتيوب فإن كنوزاً إذاعية وتليفزيونية أصبحت في المتناول بعد أن كانت صعبة المنال. استمعت إلى حوار إذاعي قديم دار بين عبد الحليم حافظ والموسيقار محمد عبد الوهاب، ومن الواضح أنه دار في فترة أوائل السبعينيات. ترك المذيع الفرصة لعبد الحليم ليحاور عبد الوهاب دون تدخل منه فسأل حليم ضيفه عن أحب الأغاني إلى قلبه.. أجاب عبد الوهاب: أغنية عندما يأتي المساء للشاعر محمود أبو الوفا. قال عبد الوهاب هذا ثم استطرد في مدح الشاعر الذي كان يمر بظروف صحية حرجة في ذلك الوقت وقال إن ظروفه المريرة قد طبعت فنه بطابع مميز.. وهنا انبري عبد الحليم متسائلاً: هل المرارة عند الفنان يمكن أن تنتج فناً جيداً؟ أجاب عبد الوهاب: ممكن طبعاً، فقال حليم: أعتقد أنها تنتج حقداً، فرد عبد الوهاب: بالعكس.. من الجائز أن تولّد فلسفة وهذا يتوقف على نفسية الفنان. هنا عاود حليم السؤال: لكنها يمكن أن تولد حقداً على المجتمع؟ فكرر عبد الوهاب أن الأمر مرهون بمحتوي الفنان. ويبدو أن فكرة الحقد على المجتمع من قِبل بعض الفنانين كانت متسلطة على ذهن عبد الحليم فلم يشأ أن يترك هذه النقطة وينتقل لغيرها فألح على عبد الوهاب بالسؤال: ماذا نفعل لو كان لدينا موهبة جيدة لكنها منفصلة عن المجتمع وتحمل في داخلها حقداً عليه.. ألا يتعين أن نساعدها لتندمج في المجتمع وتتوقف عن الحقد؟ وهنا أبدي عبد الوهاب دهشة من فكرة الحقد التي يلح عليها عبد الحليم وقال له: إن الإنفصال عن المجتمع لا يعني الحقد عليه وفكرة الإنفصال في حد ذاتها هي موقف فني.. لكن للغرابة الشديدة ظل حليم يدور حول نفس النقطة في إصرار ممل.. وفجأة أفصح عن مكنون نفسه عندما سأل عبد الوهاب: ما رأيك في الشيخ إمام والشاعر اللي معاه؟!.. لم يقل حليم الشيخ إمام ونجم لكن قال «الشيخ إمام والشاعر اللي معاه» وهنا قد يتصور المستمع أن عبد الحليم لا يعرف اسم الشاعر وهذا جائز.. لكن المؤسف أن هذا غير حقيقي وقد عرفنا بعد وفاة حليم أن الشاعر أحمد فؤاد نجم كان زميلاً له في الطفولة في ملجأ الأيتام الذي جمعهما في مدينة الزقازيق، وهي الحقيقة التي حرص حليم على إخفائها.. يعني عبد الحليم كان يعرفه جيداً، لكنه تصنّع الجهل به، كما لم يذكر تجربة نجم وإمام إلا في سياق الفكرة الشاذة عن الحقد الذي قد يملأ نفس الفنان ويجعله يخالف المجتمع.

في ذلك الوقت لم يكن متاحاً لنجم وإمام أن يردا على عبد الحليم من خلال الإذاعة ولا الصحافة بسبب الحصار المضروب حولهما وبسبب السجن الذي تعوّدا المكوث فيه على يد الزعيمين اللذين تغني بعشقهما عبد الحليم حافظ، ولم يكن باستطاعتهما أن يقولا له: إن التطبيل للزعيم لا يعني الإلتصاق بالمجتمع وخلو النفس من الحقد، كما أن الغناء للناس وهجاء الحكام غلاظ القلوب لا يعد انفصالاً عن المجتمع لكنه موقف وطني عظيم لا يقدر عليه الذين أدمنوا الجلوس على حجر السلطة وغنوا للأمراء والسلاطين.

رحم اللـه الجميع وأثاب الشاعر العظيم أحمد فؤاد نجم الذي لم يتنكر لأصله ولم يجلس إلا على حِجْر مصر!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

عظماء لكن نحّيتة!

التصق لقب مطرب الملوك والأمراء بالموسيقار محمد عبد الوهاب وحده وذلك على الرغم من أن من سبقوه ومن أتوا بعده كانوا جميعاً جديرين بنفس اللقب وعلى رأسهم عبد الحليم حافظ. كان حليم معبراً عن العهد الجديد وقد أحس الشعب أنه يمثله بعد أن غنّي للسد العالى وبستان الإشتراكية. ولكن من العجيب أن مطرب الثورة قد غني كذلك للملوك والرؤساء من أعداء الثورة وممن كان يطلق عليهم ناصر القوي الرجعية.. غني لهم أكثر مما غني للزعيم المصري نفسه!.. ولئن كان حليم قد حرص في حياته على إخفاء عشرات الأغنيات التي غناها للملك الحسن الثاني ملك المغرب والرئيس الحبيب بورقيبة رئيس تونس وللأمراء في الخليج، فإن هذا الأرشيف أصبح متاحاً الآن على الإنترنت ويمكن للجميع أن يطالع أخبار الرحلات التي كان حليم يقطعها عدة مرات في السنة ليغني لملك المغرب في عيد ميلاده وعيد جلوسه وأعياد ميلاد وطهور أنجاله.. وللأمانة لم يكن حليم يذهب وحده، وإنما كان دائماً بصحبته فريق من الفنانين والفنانات يقيمون في معية الملك، وهناك حكايات عجيبة تروي عن مؤلفي الأغاني والملحنين الذين كانوا يتواجدون دائماً بالفندق من أجل التأليف والتلحين الفوري إذا دعت الحاجة!. يحتفظ الأرشيف بأغان كثيرة غناها حليم لملك المغرب منها واحدة تقول: الماء والخضرة والوجه الحسن/عرائسٌ تختال في عيد الحسن، وكذلك أغنية «بلد الحبايب» والأغنيتان تأليف مرسي جميل عزيز وتلحين بليغ حمدي، وأغنية «ليلة قمر» التي كتبها محمد حمزة ولحنها حلمي بكر.. ويستمر سلسال الأغاني «السفينة وصلت عالبر» محمد حمزة ومحمد الموجي.. في يوم ميلادك يا الحسن، محمد حمزة وحلمي بكر.. وعشت يا الحسن محمد حمزة ومحمد عبد الوهاب.. والليلة جينا نهنّي محمد حمزة ومنير مراد.. وأقبل الحسن علينا حمزة وبليغ.. وتداني الحب عبد الوهاب محمد وحلمي بكر.. و«رأيت في مولد الرشيد عيدي» و«غننا وردد واصدح يا زمن» عبد الوهاب محمد والموجي. شلال متدفق من الأغاني في مولد لم يتأخر فيه أحد حتى أن حلمي بكر ومحمد سلطان اللذين لم يسبق لهما أن لحّنا لعبد الحليم لم ير مطربنا الكبير مانعاً من قبول ألحانهما في هذه المناسبات المفترجة!.

أما الحبيب بورقيبة مَلِك تونس أو رئيسها لا فرق، فقد ناله جانباً طيباً من مديح حليم الذي غني في عيد ميلاده من كلمات الشاعر التونسي عبد المجيد بن جدو كلمات تقول: يا مولعين بالسهر هنا يغني العندليب/ والنجم يزهو والقمر في عيد ميلاد الحبيب.. ثم يمضي منشداً: (ميلاده كان فجراً وفتح عهد سعيد/ تعيش تونس فيه في ظل عصر جديد. وأنت في الناس حراً والظلم لا ترضاه/ كرهتَ قيداً وأسراً وأن تُذل الجباه). الحبيب بورقيبة صاحب القبضة البوليسية الرهيبة امتدح حليم عدله وكرمه وسماحته!.

هذا غير أغنية غناها في عرس أمير خليجي يقول مطلعها (والله واتلمّت الخيالة/ في كتْب كتاب عبد العزيز على هالة).. ولا تسألني مَن هو عبد العزيز ومَن هي هالة، لأني لا أعرف سوي أنهما الكفيلان اللذان قاما بسنجفة المطرب والمؤلف والملحن!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

العِلم والـحواوشي

الصحفي لبنيامين نتانياهو: ما سر العداء الواضح الذي تكنه للإيرانيين؟
نتانياهو: أمرك عجيب يا رجل.. ألا ترى أنهم يسبّون الصحابة!
هل أبو سلمى.. حايك فعلاً؟ أم إنها دعاية هوليودية مغرضة بسبب أصله العربي؟
عبد العاطي يطرد مريضاً قبل إستكمال العلاج لأنه بيحّف!
تسمح تولّع لي صباع كفتة؟
هناك أخطاء يسهل غفرانها وأخطاء أخري لا تغتفر. من النوع الأخير الذي لا يغتفر حالة التعتيم والتجاهل التي يتعرض لها واحد من أنبل أبناء هذا الوطن.. رجل كرس حياته وفكره وقدراته العقلية الفذة في خدمة بلاده.. رجل ملأوا له الأجولة بالزمرد والياقوت من أجل أن يحصلوا على اختراعه فأبي واستعصم، وقدموا له إغراءات أخري يسيل لها لعاب العفريت فما لان ولا انثني.. وعندما حاولوا أن يستعملوا معه الشدة أنقذته الأجهزة فاختطفته وأعادته إلى حضن الوطن. أتحدث عن العالم الجليل الذي لم يلق التكريم الذي كان يستحقه من بلده، بل لقي الجحود والنكران والاتهامات الهوجاء. قالوا عنه دجال، وقالوا معالج بالأعشاب وقالوا أشياء أخري سخيفة. أطلقوا في حقه النكات وصاروا يسخرون من مخترعاته ويبثون في الرجل روح اليأس وكأنما يستكثرون علينا عالماً نابغاً متبتلاً في محراب العلم لا يحوز سوي الجنسية المصرية، على العكس من غيره من العلماء الذين حصل أغلبيتهم على جنسيات أجنبية مثل الدكتور زويل والدكتور مجدي يعقوب والدكتور فاروق الباز وغيرهم. صحيح أن الجنسية الأجنبية لا تعيب حاملها ولا تنتقص من وطنيته ولا جدارته بخدمة مصر، لكن الأصح هو أن نفخر بالرجل الذي قالوا له: خذ مليارين من الورق الأخضر المنعش الذي تضرب الورقة منهم في الحائط فترتد إليك وقد صارت جنيهات كثيرة جداً.. قالوا له خذ الفلوس فقال إني أخاف اللـه، مع أنهم لم يطلبوا شيئاً في المقابل إلا أن ينسي! قالوا له انسي اختراعك الذي تريد أن تفيد به الفقراء ودعه لنا، لكنه لم ينس ولم يغره متاع الدنيا الزائل. رفض الرجل المال ومنح الفرصة لأعداء النجاح أن يعتبوا عليه أنه لم يأخذ المال ويشتري به كشري وسوفالدي للمرضي يعوضهم عن اختراعه الذي تكالب عليه الأعداء!. أتحدث عن أكبر عالم عربي منذ الحسن بن الهيثم ومنذ عبده فرج وممدوح أبو ليّة.
أما مناسبة هذا الكلام اليوم فهو القرار الذي اتخذته نقابة الأطباء بمحاسبة ومساءلة كل الذين كانوا مع العالم الجليل في مختبره.. الذين وقفوا معه يؤازرونه ويحسّنون للجمهور اختراعه ويزينون لهم أسلوبه الجديد الذي يعالج كل الأمراض والأوبئة ما ظهر منها وما بطن. لا أعتقد أن البحث العلمي يستفيد من هذا الإجراء الذي لا شك سيخيف الأطباء في قابل الأيام ويجعلهم يحجمون عن مساعدة أي عالم يفكر في علاج الغلابة والفقراء بوسائل غير تقليدية.
لقد وصلنا إلى العالمية مرتين في هذا العصر.. مرة عند بلوغنا نهائيات كأس العالم عام 90 على يد الجوهري الذي أصاب مدربي انجلترا وإيرلندا بالشلل عندما لم يصنع هجمة واحدة طوال 180 دقيقة، والمرة الثانية بعد الإختراع الرهيب الذي كاد يمنح عالمنا الكبير جائزة نوبل لولا غياب أشياء بسيطة افتقدها العلاج الجديد أهمها الخيار المخلل.

أرجو أن نفيق قبل فوات الأوان وأن نتدارك خطأنا في حق الرجل ونتوقف عن التقليل من شأن أنفسنا بظن أن الخواجات فقط هم منبع الطب والعلم والحكمة. ونداء أخير إلى أبناء الوطن الشرفاء: بدلاً من أن تلعن الظلام سامحه أو حاول تتفاهم معاه، وبدلاً من انتقاد راهب العلم قم بتجهيز التوميّة والفلفل حتى لا تجد لجنة نوبل حجة في المرة القادمة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المساعد الحقود

بعض الأدوية يتم اكتشافه بالصدفة، فمثلاً الفياجرا كانت في الأصل دواء لمرضي القلب، ومن خلال أعراضه الجانبية اكتشفوا أنه يمكن أن يساعد على الانتصاب، ومن هنا خرجت الفياجرا للحياة.
بنفس الطريقة توصل الباحث الشاب عاطف كلسون (و هو من ضمن الفريق المعاون للبروفيسور عبد العاطي) إلى علاج ناجع للملاريا دون أن يقصد. كان كلسون يتولي رئاسة الفريق التنفيذي لمجموعة خبراء الضاني، وبسبب نبوغه المبكر فقد عهد إليه العالِم الكبير بالإشراف على أبحاث العلاج الجديد الذي اخترعه لعلاج النقرس عن طريق نوع من الشوربة المطبوخة على فخذة وعْل جبلي ظل عبد العاطي يطارده لمدة أسبوعين فوق قمة كلمنجارو بالصحراء الكبري، وهكذا شيم العلماء المخلصين.. لقد ظل كامناً للوعل يوماً بعد يوم حتى ظفر به واقتاده والرمح مغروس فيه من مرتفعات الكونغو إلى معمله في صفط اللبن!.
المهم أن الباحث كلسون ارتكب خطأ كبيراً عندما أذاق ملعقتين من الشوربة لمريض كان محموماً والملاريا تفتك به، فعل هذا عندما رق لحال المريض الذي طلب أن يذوق شوربة الوعل الجبلي قبل أن يموت.
كان الباحث الشاب رقيق القلب فلم يستطع أن يتجاهل طلب رجل هو في حكم الميت، فغرف له من شوربة عبد العاطي ودفع إلى جوفه ملعقتين كاملتين. بعد نصف ساعة حدثت المعجزة وقام المريض ينط في فرح مثل نسناس شركسي بعد أن زالت عنه كل أعراض المرض.
من هنا توصل عاطف إلى علاج للملاريا دون أن يقصد. كانت فرحة كلسون غامرة وهو يفكر في كيف سيأخذه عبد العاطي من يده ليقدمه للفضائيات والصحف فيصير بعد قليل حديث العالم.
حلم عاطف كلسون بأن يظهر في التليفزيون ويكون ضيفاً على كبار الإعلاميين مثل العكش والأقرع والحايكة وغيرهم لتراه أمه ومعها الجيران كلهم في الوراق.. غير أن ما حدث كان شيئاً مختلفاً تماماً، إذ أن المريض الذي كان محموماً ولا يقوي حتى على النهوض من السرير انتابته حالة إثارة ونشاط شديدين بعد أن سرت الشوربة في عروقه، فلم يتمالك نفسه وقفز إلى جوار الموقد، ومن شدة الفرح أمسك بالقدر من على النار ولم يبال بأن الشوربة تغلي، وقام بشرب المرقة كلها ولم يترك القدر إلا وهو ممسوحاً. بعد ذلك صعد المريض إلى النافذة ثم قفز إلى خارج المعمل وذاب في صفط اللبن وسط الزحام.
هنا وقعت الواقعة وحدث الصدع الكبير بين الأستاذ والتلميذ، فلم يصدق عبد العاطي شيئاً مما رواه مساعده، بل واعتقد أن المساعد غافله وقام بتسقية رغيفين في شوربة الوعل على العشاء.
اتسع الخلاف بين الرجلين، وظن عاطف كلسون أن أستاذه يغار منه بعد الكشف العلمي الكبير. تحداه عبد العاطي أن يحضر المريض ليختبر أثر الشوربة عليه بنفسه وأمهله يومين. بعد انقضاء المهلة وفشل كلسون في العثور على المريض الملعون لم يستطع أن يرجع للمعمل مرة أخري حتى لا يكون هدفاً لسخرية عبد العاطي، وأحس أنه جدير بالتكريم لا الإهانة، خصوصاً وقد منحته الأقدار كشفاً لا يقل عن فتوحات عبد العاطي نفسه.

فكّر عاطف ولم يجد حلاً سوي السفر إلى أوروبا حتى يتفرغ لأبحاثه بعيداً عن نفوذ عبد العاطي. ظل الباحث الشاب في غربته ينتظر أن يجيئه عرض بإثنين مليار دولار مقابل اختراعه حتى يوافق على الفور، وكان يعتزم ألا يكرر الخطأ الذي ارتكبه أستاذه عندما رفض العرض المليارى وفضّل الرجوع لمصر لمساعدة المرضي الفقراء على العلاج مع إطعامهم كفتة وطرب. انتظر كذلك أن تقوم الأجهزة الأمنية باختطافه وإعادته إلى البلاد كما فعلوا مع أبيه الروحي.. غير أن شيئاً من هذا لم يحدث.
فكر كلسون طويلاً وقروشه القليلة توشك على النفاذ وهداه تفكيره إلى زيارة أحد مراكز الأبحاث وإطلاعهم على كشفه العلمي، لكنهم طردوه ولم يفهموا علاقة شوربة الوعل بالملاريا. أخبرهم أنه المساعد الأول للبروفيسور الكبير الذي تعرفه الأوساط العلمية في أوروبا فلم يصدقوه.
خرج عاطف كلسون من مركز الأبحاث غاضباً وقام من فوره بالإتصال تليفونياً من كشك قريب بالدكتور عبد العاطي وطلب منه أن يرسل له بالفاكس شهادة خبرة ومكافأة نهاية الخدمة وخطاب تزكية يساعده على الالتحاق بفريق بحثي أوروبي، لكن عبد العاطي الذي كان لا يزال تحت تأثير الصدمة من فرار مساعده وضياع شوربة الوعل رفض طلبه وأغلق الهاتف في وجهه.
مادت الدنيا بعاطف كلسون وامتلأ قلبه بالغضب فقرر أن ينتقم من عبد العاطي ويفضحه أمام العالم. ورغم أن المعامل أمانات مثل المجالس بالضبط، وما يجري وراء جدران مراكز البحث لا يجوز خروجه للعلن من جانب العلماء فإن كلسون لم يبال وبدأ يخرج إلى الميديا ويسرّب أسرار الشغل في معمل صفط اللبن. لم يتورع عن إخبارهم أن عبد العاطي كان يذبح أحياناً خارج السلخانة بدون علم أحد، وأنه كثيراً ما استعان باللحم البرازيلي لرخص ثمنه مع وضع الفرق في جيبه! أخبرهم أيضاً أنه طرد مريضاً ذات مرة وأوقف العلاج عنه لمجرد أنه ضبطه «بيحّف».. وحكي أن أستاذه غفل يوماً عن الشواية فاحترق المعمل ومات المرضي والكادر الطبي، ولولا وقوفه بجانب أستاذه ومساعدته في بناء المعمل من جديد لضاع كل شيء.. روي لهم كذلك عن طلب الهجرة الذي قدمه عبد العاطي لسفارات أكثر من خمسين بلد بعدما أوقفت الدولة الدعم المالى الذي كانت تقدمه له، وأخبرهم كيف أن طلب الهجرة رُفض من كل السفارات ولم ترحب به سوى ولاية ناجبور الهندية معقل طائفة السيخ.. قص عليهم أيضاً حكاية مريض غرفة الإنعاش الذي رفض تناول طبق المهلبية فرن قبل النوم فقام عبد العاطي بشد وثاقه ومدّه على رجليه حتى يكون عبرة للمتبطرين.. لم يتورع كلسون عن فضح أستاذه.. روى كل شيء حتى حكاية الحواوشي الذي كان يبيعه بأسعار السوق السوداء لغير المرضي.

فعل عاطف كلسون كل ذلك وتنكر للرجل الذي علمه الطب وجعله من العلماء بعد أن كان صبي عجلاتي في الوسعاية.. لم يتنكر لأستاذه فقط، لكنه أفشي أسراراً علمية تهدد الأمن القومي ووضع نفسه في خدمة المؤامرة الدولية التي تُنسج خيوطها بالخارج ضد مصر من قبل دول موتورة حقدت على ما نحن فيه من عز ورفاهية وتقدم علمي.
أمضي الرجل عدة شهور بالخارج ثم عاوده الحنين للوطن فعاد يجر أذيال الخيبة، وكان يتوقع أن يتم الإنتقام منه بعد ما فعل، غير أن مصر الكبيرة سامحته وصالحته على أستاذه، وعاد المعمل يجمعهما

من جديد ورائحة الشواء ترفرف على جنباته.. وهكذا أثبت الوطن أنه الحضن الكبير الذي يحمي ولا يهدد، يصون ولا يبدد، وأحياناً يستلف ولا يسدد!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الكفتة وبـول الـنـاقـة

الأحزاب السياسية بمفهومها الحقيقي غير موجودة بمصر، ورغم ذلك فهناك حزبان لا يجوز إنكار شعبيتهما الكبيرة.. الحزب الأول هو حزب المؤمنين بالتداوي ببول البعير، وهو إيمان يقيني يجعل تناول المسألة أو الرغبة في فتح حوار فيها أمراً ماساً بالعقيدة وقد يُخرج صاحبه من الملة والعياذ بالله!

أما الحزب الثاني فأفراده يعتنقون الإيمان بإمكانية التداوي بأسياخ الكفتة الموصوفة من عيادة الحاج عبد العاطي، وهؤلاء مثل السابقين يملكون إيماناً يقينياً أن عبد العاطي قد أرسلته السماء للفقراء ليطعمهم ويشفيهم ويذيقهم المشويات التي حرموا منها طويلاً.. ولا تستطيع في مواجهتهم أيضاً أن تتحدث بكلام معقول أو أن تشرح وتوضح وتتكلم في بديهيات، ولعلك إذا أمسكت بفأسك وشرعت في هدم أصنامهم الفكرية طعنوا في وطنيتك واتهموك بأنك لا تؤمن بعبد العاطي لأنك عميل تتلقي تمويلاً خارجياً لزعزعة أمن الوطن.

ولعل من بؤس الطالع أن كلا الفريقين يضم الملايين من الأتباع، ومن المؤسف أن أفكارهم عن العلم والطب والمستقبل وبناء الدولة كلها خزعبلية تستند إلى الأوهام أكثر مما تقوم على الحقائق، لهذا فلا أمل خلال المستقبل المنظور أن يفوز في أي انتخابات برلمانية أو نقابية أو محلية أشخاص طبيعيون من الصنف الموجود في كل مكان بالعالم.. دائماً ستجد الفائز إما من فريق البول أو من فريق الكفتة، أما المؤمنون بالبحث العلمي والأفكار المتجددة ومواجهة مشكلات الوطن بالإعتماد على الكفاءات والعناصر الصالحة دون أبناء القبيلة فهم قلة لا يعتد بها، لهذا فإن كلا الفريقين يستهين بهم ولا يسعي حتى لاستمالتهم خوفاً من التأثير على القطيع الذي ـ حاشا لله ـ قد يرفض الإيمان بنجاعة البي بي أو يرفض حقنة الكفتة.

والأمر في الحقيقة لا يتعلق بحق وباطل أو بشرعية وخروج على الشرعية، فمن الممكن جداً أن تكون على حق دستورياً لكن أفكار البول والإخراج تملأ رأسك، كما أن رؤياك للسياسة الداخلية والخارجية تستند إلى البعير وقدرته على إدرار البول.. ومن الممكن أيضاً أن تكون على حق دستورياً لكن ذهنية المسمط والحواوشي هي طريقك لتحقيق الأهداف القومية وخلق فرص عمل ومعالجة أزمة الدولار وتوفير احتياجات الناس. ولعل من المهم هنا أن أوضح للقاريء أن هذا الحديث لا يتعلق بالإخوان وأهل السلطة كما قد يتبادر للذهن، لكنه أهم وأشمل من ذلك بكثير.. هو حديث عن الهجايص والأوهام التي تملأ رؤوس الناس العاديين الذين لا ينتمون للإخوان ولا لحزب السلطة، وعلاقتهم بالسياسة تقتصر على الفرجة على التليفزيون فقط.. هؤلاء الناس هم مستودع الهجايص والملتحفون بالأوهام الذين يمنعون مصر من النهوض رغم أنهم للمفارقة البناؤون الممكنون لمصر!، وفي الحقيقة لا أدري أي الأشياء أخطر.. أن يؤمن الناس بأفكار هجائصية واحدة يتفقون فيها ويقفون صفاً واحداً وراءها، أم أن ينقسموا لفريقين متصارعين كما رأينا بأعيننا عندما أخذ عشاق بول البعير يعايرون أنصار الكفتة بجهلهم وغبائهم!. عندي حل وسط قد لا يكون هو العلاج الناجع لكنه من الممكن أن يخفف الإحتقان.. ندعو الناس إلى كلمة سواء ويأكل كل واحد سندوتش كفتة ثم يحبس بكوز بول فيعم السلام!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أعداء النجاح

أعلنت نقابة الأطباء إحالة الأطباء المسؤولين عن جهاز علاج فيروس الإلتهاب الكبدي الوبائي والمعروف إعلامياً بجهاز الكفتة إلى هيئة التأديب بالنقابة بتهمة الإعلان والترويج للجهاز الخاص بعلاج الأمراض الفيروسية قبل إتمام الخطوات العلمية المتعارف عليها.

هذا الخبر أصاب الأوساط العلمية في أوروبا والدول المتقدمة بصدمة، حيث أن معاقبة هؤلاء الأطباء قد يترتب عليها إغلاق أبواب الأمل في وجه كل الذين حلموا بأن يعملوا في فريق العالم الكبير عبد العاطي صاحب النظريات والوسائل غير التقليدية في محاصرة الفيروسات. إن الأطباء المحالين للتحقيق لم يفعلوا سوى الإنضواء تحت مظلة راهب العلم الأخ عبد العاطي والمضي معه على طريق استنباط طرق علاج غير مألوفة، فهل التتلمذ على يد عبد العاطي صار جريمة؟ تقولون إنه غير متعلم وغير حاصل على شهادات؟ وما المشكلة في ذلك.. هل كان الحسن بن الهيثم متخرجاً من هارفارد؟ هل حصل فيثاغورث على شهادة الزمالة من كامبردج؟ ما المشكلة في أن يعملوا في فريق رجل موهوب صاحب كرامات؟.. أما الذين يتحدثون عن أن الرجل مجرد فني معمل ولا يصح لكبار الأطباء أن يعملوا تحت إمرته فاسمحوا لي، هذا نوع من التمييز ينسى أصحابه أننا جميعاً أولاد تسعة، وأحياناً أولاد خمسة وستة إذا تم كتب الكتاب بعد الدُخلة!

الذين يعاقبون فريق عبد العاطي هم أنفسهم الذين وقفوا في وجه جاليليو عندما كشف للناس عن كروية الأرض، واليوم بعد حرق جاليليو بعدة قرون أصبحنا جميعاً نعرف أن الأرض كروية.. باستثناء الشيخ بن باز طبعاً!.

كم من السنين سنهدر قبل أن نعترف بأن سندوتشات الليّة وطواجن المخاصي هي في حقيقتها أمصال؟ لماذا نحارب علماءنا ولا نثق بهم، بينما نرحب بالأجنبي ونقبل كل ما يأتي منه؟ هل لو كان للبروفيسور عبد العاطي اسم آخر وليكن جون ماكلين مثلاً.. هل كنا نسخر منه ونقول ماكلين كفتة؟ هل لو كان الباحث الواقف على الشواية يابانياً أتري كان يجتريء عليه الصغار ويسمونه ياماموتو كفتة؟ بالطبع لا، إنما لأنه مصري مثلنا فإننا نستكثر عليه النجاح ونقول إن مشروعه فشل.. نقول هذا رغم أننا مسؤولون عن هذا الفشل بعد أن بح صوت الرجل وهو يطلب أنواعاً جيدة من الفحم لم توفرها له الدولة. إن هناك حكايات مخفية عن تضحيات عبد العاطي من أجل مصر وقد يجري الكشف عنها ذات يوم، وموضوع المليارين من الدولارات التي عرضها عليه الغرب ليعطيهم اختراعه ليس آخر المطاف، ومثلما قال السادات ذات يوم إنه على استعداد للذهاب إلى آخر العالم، حتى إلى الكنيست ذاته لحقن دماء أبناءه، فإن عبد العاطي فعل ما هو أكثر.. يقال إن الرجل من أجل استكمال أبحاثه قد صعد إلى جبل الأولمب وقام بعقد اتفاق شراكة مع إله البولوبيف عند الإغريق! هل هناك من فعل شيئاً مماثلاً؟.. أما مساعدوه الذين آمنوا برسالته فإنهم يستحقون التكريم فمنهم من كان يهوّي على الفحم ومنهم من كان يجهّز المفروم ومن يُحضّر التتبيلة ويحشو الأرغفة.. وفي كل الأحوال يجب أن نحمد للرجل شجاعته حين واجه الناس بالحقائق ولم يجامل الحكومة عندما عزا فشل تجربته العلمية إلى تقاعس المسؤولين عن تزويده بالبقدونس!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أجهزة النيفة المركزية

لكل اتفاقية مزايا، كما أن لها آثار جانبية. بالنسبة لاتفاق إيران مع مجموعة 5+1 المتعلق ببرنامجها النووي فإنه يحقق للإيرانيين القدرة على التنفس عقب رفع العقوبات الإقتصادية، لكن هناك تكلفة سيتكبدها الإقتصاد الإيراني ناجمة عن النفقات الباهظة التي تم إنفاقها على عمليات تخصيب اليورانيوم والأموال التي صُرفت لصنع ما يقرب من عشرين ألف جهاز للطرد المركزي.. ماذا سيصنع الإيرانيون بأجهزة الطرد المركزي التي أرغمتهم الإتفاقية على الاحتفاظ منها بستة آلاف جهاز فقط بما يعني ضرورة التخلص من نحو 14 ألف جهاز؟.

هناك حل وصلني من أحد القراء، وهو على ما يبدو يحقق مصلحة مصر بالإضافة إلى إيران أيضاً باعتبارها قوة للعرب والمسلمين إذا أحسنّا توجيه بوصلتها. يقترح الأخ أن تضع إيران الأربعة عشر ألف جهاز للطرد المركزي تحت إشراف البروفيسور عبد العاطي صاحب الإنجازات العلمية المعروفة، وهو لمن لا يعرفه أعلى قامة علمية في مصر حالياً ويوازي عبد القدير خان في باكستان وشاروخان في الهند. يقضي الاقتراح بأن يتسلم عبد العاطي أجهزة الطرد الإيرانية ويدخلها في برنامجه السلمي لتحويل الفيروسات إلى مشاوي مشكلة، الأمر الذي سيعجل بإدخال الإختراع إلى حيز التنفيذ بعد أن تأخر المشروع مرة بعد مرة حتى ظن المشككون أن المشروع وهمي وأن عبد العاطي مجرد رجل أونطجي ضحك على مصر حتى ألبسته بدلة جنرال وأتاحت له أن يقف في المستشفي ويطلق صيحته الخالدة في وجه أحد المرضي: كان عندك إيدز وراح!.

ما يعزز هذا الاقتراح أن الإيرانيين معروفون كما هو شائع بالمشويات ذات المستوي الرفيع بتوابلها الشرقية ونكهتها المميزة، وهم بهذا أقدر على تفهم عمليات التطوير التي يضمها مشروع البروفيسور عبد العاطي، مما يجعل إقناعهم بتسليم أجهزة الطرد المركزي للعالِم المصري أمراً ميسوراً. ولما كان العلم هو أحد الأبواب الرئيسية لإحلال السلام ونشر الوئام فقد يكون التعاون العلمي مع الإيرانيين بديلاً لحالة الاحتقان والاستقطاب التي جعلتنا نوشك أن ندخل حرباً ضدهم. دعونا نجعل العلم ومشروعاته السلمية باباً للأخوة والمحبة، ولنتعاون على البر والتقوي والمشويات المتبلة بدلاً من الإثم والعدوان وإزهاق الأرواح البريئة.

قد يقول قائل إن الهنود يشوون الكفتة أيضاً ولديهم أطعم سيخ كباب في المنطقة بما يؤهلهم لدخول المنافسة للحصول على أجهزة الطرد الإيرانية، كما يمكن أن يحتج آخر بأن المشاوي اللبنانية لها تميزها أيضاً.. لكن الرد على هؤلاء سهل وهو أن بعض البلاد وإن كانت تقدم الكباب والكفتة والريش بمستوي عال، إلا أن هذه البلاد تحتاج إلى اللحوم من أجل عمليات الشواء. نحن فقط نملك برنامجاً نوفر فيه تكاليف الأبقار والأغنام والماعز فنقوم بتحويل الفيروسات إلى صوابع كفتة يتغذي عليها المريض، وهذا سيظهر في دراسة الجدوي التي سنقدمها، وسوف تكون له قيمته عندما يقوم الجانب الإيراني بفض المظاريف!. هذا فضلاً عن ميزة تنافسية لا أظنها خطرت على بال أي أحد وهي أننا الطرف الوحيد في المنطقة الذي يحتكر عمل النيفة، فلا أظن اللبنانيين أو الهنود أو الأفغان يعرفون ما هي النيفة. يتبقي فقط أن يعكف عبد العاطي وفريقه العلمي على تحويل الفيروس إلى نيفة بدلاً من كفتة، وستتكفل أجهزة الطرد المركزي بطرد العوازل الذين لا يثقون بالإختراع، مع إفساح المجال أمام المواطنين الصالحين المؤمنين بالعلماء الكفتجية!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام إلى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

اهداء..

من حدائق الدنيا
فاتونا الحبايب
أشجانك لك وحدك
لا مؤاخذة يا فرنسا
واوكستاه!
شيطان الأوتوبيس
الحرمان
رحلة إلى لندن
يا ليلة بيضا
خمسة فرفشة
حُبي الأول
الهدية والوهم الجميل
بسيوني أفندي
السؤدد
حشمت والبتانوني
ابن مين في مصر؟
مصريات
يا نهار سلطاني
حرام عليك يا ماهر
تشليح أفندينا
وانت مال أمّك!
نظرية في الحياة
الأقساط يا سادة!
أستاذنا الفاشل!
أحلام الفتي الشبعان
النفايات
شاهد زور مهاود
إنسان خسيس
ابن المرة
أقرع ونُزَهي
كوب الشورية السحري

تدوير النفايات
القمر الجريح
البكاء في ضوء القمر
الأم العادية أجمل
تخليص سيارة.. من الأسر!
الحب العسير
سلام الدواجن
أرخص ليالي
اقتلوني أو اطرحوني أرضاً
سذاجة مفرطة
قرحة في المعدة
حبيبي يا طلعت!
سياحة توجع القلب
البلاد والعباد
مباراة في الرجبى
متدينون.. وسفلة
الديوث القذر
فتوى داعشية متوحشة
ورق توالیت
الحفريات
هلمّوا إلى الجبلاية
دخول الجنة من المنوَر!
لن تستطيعَ معي صبرا
على طريق الطائف
مريض الطبقة الوسطي
عقل جميل
رُكّاب في الجحيم
إنهم يحاربونك بأهلك!
إن العين لتدمع
عصر مؤخرة القرد
حالة عشق
أنور وتهامي
أولادي يا الله!
ناصري.. إزاي يعني؟
ثلاثة أنواع
مطعم الديك الذهبي

فنانـون نبـلاء
مـحمد فـوزي
مـحمود شكوكو
الذين يحبون..يتشخرمون
فـتـحي قـورة
القيـمة والـمَرَمّـة
الشاعـر الـلي مـعاه!
عظماء لكن نحّيتة!
العِلْم والـحواشي
المساعد الحقود
الكفتة ويـول الـناقـة
أعـداء النجاح
أجهزة النيفة المركزية